تروتسكي

بين الاسطورة والحقيقة



عدد من الصحفيين السوفييت

ترجمة وتقديم: يوسف ابراهيم الجهماني

دار الكنوز الادبية - بيروت

تروتسكي
بين الاسطورة والحقيقة

* تروتسكي بين الأسطورة والحقيقة
* مجموعة من الصحفيين السوفييت
* ترجمة : يوسف ابراهيم الجهماني
* الطبعة الأولى / ١٩٩٣

* دار الكنوز الأدبية ـ بيروت

تروتسكي
بين الاسطورة والحقيقة

عدد من الصحفيين السوفييت

ترجمة وتقديم:

يوسف إبراهيم الجهماني

دار الكنوز الأدبية

مقدمة المترجم

عندما وصل تروتسكي إلى مهجر المعارضين الروس في لندن، إمتدحت زاسوليتش* أمام بليخانوف، مواهب القادم الجديد وعبقريته بحيوية مفرطة، إذ هتفت قائلة "لاشك أن هذا الفتى عبقري"**. على أثر ذلك غضب بليخانوف وأشاح بوجهه قائلاً: "لن أغفر له ذلك ما حييت". طبعاً تداول المهاجرون هذه الرواية في صيغة نكتةٍ، لا أكثر ولا أقل.

بقي ليون تروتسكي، منذ أن انضم إلى صفوف الاشتراكيين الديمقراطيين الروس وانخرط في معمعان عملهم الثوري، لوحة متناقضة ظاهرياً، لا تستطيع الركون في الزاوية، أو الانصياع للأوامر والبقاء في الظل. وكأني بهذه الشخصية قد خلقت لتكون الأولى دائماً، هي الآمرة الناهية وهي مصدر القرارات. لهذا عندما لم يتسن لها ذلك، إن كان في عهد لينين أم في عهد ستالين، أصبحت كطائر الفينيق دائمة الطيران والبحث عن المجهول.

---

* زاسوليتش فيرا ايفانوفنا (١٨٤٩ ـ ١٩١٩) ـ ثورية روسية. منشفية منذ عام ١٩٠٣ . صدر لها العديد من الأعمال الأدبية والنقد الأدبي. المرجع ـ الموسوعة الفلسفية باللغة الروسية، المجلد الثاني ، ص ١٦١ .

** النبي المسلح، اسحق دويتشر ، ص ٨ .

بدأ تروتسكي حياته النضالية في صفوف المناشفة، حيث كان يجد فيهم، على الدوام، من يستمع إليه، لأنهم على عكس رفاقهم البلاشفة لم يكونوا على عجلة من أمرهم. وباسم المناشفة أخذ تروتسكي يلاحق لينين ويحاصره ذهاباً وإياباً، تارة من اليمين وأخرى من اليسار. وفي هذه الأثناء تسنى لتروتسكي تسنم منصب الرئيس لسوفييت بتروغراد، وهو أول سوفييت في التاريخ، قاد من خلاله انتفاضة عام ١٩٠٥ ، التي باءت بالفشل. وعلى إثر ذلك سيق تروتسكي ولفيف من رفاقه من المجلس إلى الزنزانة، التي بدأ يدرس فيها أسباب الفشل.

من المنشفية إلى البلشفية. إنها عودة الروح عشية ثورة أوكتوبر. عاد تروتسكي لينضم إلى لينين ورفاقه ليسهم اسهاماً مباشراً في انتفاضة أوكتوبر. وهنا أبدى تروتسكي مهارة تكتيكية عالية، حينما لم يقف مع زينوفييف وكامنييف، عندما وقفا ضد القيام بالانتفاضة وأعلنا ذلك على الملأ.

بعد النصر وقيام أول دولة للعمال والفلاحين في التاريخ، يحلق نجم تروتسكي ويتولى منصب مفوض الشعب للشؤون الخارجية. ومرة أخرى يكرر القدر مواقفه. إذ يعود تروتسكي ثانية ليقف في الطرف النقيض للينين، عندما رفض التفاوض حول توقيع اتفاقية للسلم مع ألمانيا في بريست ليتوفسك، ورفع شعار لا سلم ولا حرب. وهذا كان يعني، في محصلة الأمور، استمرار الحرب على حساب الثورة. في حين كان لينين يريد ايقاف الحرب لانتصار الثورة. لكن تروتسكي، في نهاية المطاف، خضع للانضباط الحزبي ووقع على صك اتفاقية السلم.

وما ان توقفت الحرب العالمية الأولى، حتى أطلت حرب أخرى أشد شراسة وهولاً، هي الحرب الأهلية، التي ألقت على عاتق تروتسكي عبئاً

كبيراً، إذ تحمل فيها مسؤولية حقيبة مفوض الشعب لشؤون الدفاع، وبعدها بقليل مسؤولية حقيبة أخرى هي مفوض الشعب لشؤون البحرية، وترأس اللجنة العسكرية الثورية، أي بمعنى آخر، أصبح القائد العام للقوات المسلحة.

أخذ تروتسكي يبني الجيش الأحمر على أسس ثورية، ويدير الحرب من خلال السياسة. وهنا أجاد تروتسكي عملا أوكلته الثورة إليه وترك بصمات لا تنسى، إن عبرت عن شيء فإنما تعبر عن عبقرية سياسية وعسكرية وتنظيمية بارعة. وكان لينين من أكثر من قدر له ذلك الدور، حينما وصفه بـ "عقل الثورة الروسية العسكري".

ومن بين المسؤوليات التي تسنمها تروتسكي لاحقاً مفوضية الشعب لشؤون المواصلات، التي أدار شؤونها بطريقة لا تقل جودة عما سبقها من مفوضيات.

بمجمل الأمور، نستطيع أن نقول: إن ليون تروتسكي كان الشخصية الثانية في الثورة، من حيث سعة ثقافته وديناميكيته وطاقته العالية في العمل وتعدد اهتماماته، ومع ذلك انتصر ستالين عليه وتلقف منصب الأمين العام وأصبح رجل السلطة الأول، الأمر الذي أثار حفيظة تروتسكي، مما جعله يباشر صراعاً ضد الأمين العام، لا هوادة فيه. وبدأت صفحات التراجيديا تترى.

وحسب منطق التاريخ، لا سيما عندما يكون المنتصر صاحب سلطات واسعة، إن كان داخل البلد الذي يحكم فيه أم في الخارج، فإنه سيحاول اقتلاع جذور خصمه واسدال الستار على صورته، وصولاً حتى مطاردته في كل مكان يحل فيه، وإن أمكن تصفيته جسدياً.

إن أفضل تعبير عن صورة تروتسكي في وطنه الأم ما قاله اسحق دويتشر: "بالنسبة للجيل السوفيتي الحالي، ولغيره ايضاً، تشبه حياة تروتسكي واحداً من تلك القبور المصرية القديمة، التي يعرف الناس أنها ضمت في الماضي جثمان رجل عظيم ورواية منجزاته، المحفورة في الواح من ذهب، إلا أن لصوص مقابر ومخربي آثار عاثوا في الضريح فساداً وتركوه فارغاً وموحشاً، حتى أنه لم يعد ثمة أثر واحد للألواح التي كان يتضمنها سابقاً".

من هنا نجد أن تروتسكي هو من أكبر وأهم شخصيات اوكتوبر والثورة العمالية العالمية. وهي ليست شخصية إشكالية بقدر ما هي شخصية تاريخية ـ نبعت اشكاليتها من الظروف التي عاشت فيها فقط.

لهذا أرى أنه من الواجب إماطة اللثام عن جوانب كانت إلى زمن قريب في طي النسيان ومجهولة من حياة ليون تروتسكي السياسية. وما بين ايدينا محاولة صنحفية متواضعة تخطو إثر ذلك. نجد فيها مختلف الآراء السلبية منها والايجابية حول الدور الذي لعبه تروتسكي والتروتسكية من بعده في الثورة وفي الحركة العمالية العالمية.

نبدأ بمقالة بعنوان "ليون تروتسكي بين الأسطورة والحقيقة"، وفيها نجد نبذة عن حياة تروتسكي والدور الذي لعبه أيام الحرب وأيام السلم وانتهاءً بحديث عن جوهر التروتسكية.

إلى "تروتسكي المجهول" التي يعرض كاتبها "روغوفين" نبذة عن أفكار تروتسكي في الاقتصاد والسياسة والعلاقات الاجتماعية وتوقعاته لمستقبل الاتحاد السوفيتي.

إلى "التيرميدور" وفيها شبه مقارنة أجراها الكاتب بين تروتسكي

ورجالات الثورة الفرنسية، بمن فيهم نابليون لاحقاً. ومن ثم يعرض مقتطفات من كتاب تروتسكي "الاتحاد السوفيتي - إلى اين يسير في ظل ستالين"، وهذه المقتطفات نقلت عن دار المخطوطات الفرنسية.

الى " تروتسكي لاتناسبه الادوار الثانوية"، وهي مقابلة مع الدكتور فاسيتسكي الذي صدر له العديد من الكتب ، يتحدث فيها عن التروتسكية.

إلى "تروتسكي مارد وشيطان الثورة"، وفيها عودة إلى مجرى الصراعي التراجيدي بين رفيقي الأمس، ستالين وتروتسكي، وتضمنت شيئاً من تداعي الأفكار و"الفلاش باك"، يقوم به كلا الطرفين.

إلى "الشخصيات التي أحاطت بستالين"، وهي مقتطفات من كتاب تروتسكي "ستالين"، يتحدث فيه عمن أحاط بستالين من الشخصيات السياسية ويبدي رأيه فيهم.

إلى مقالة "العنوان"، التي يتهم تروتسكي فيها ستالين بدس السم للينين في أثناء مرضه. وهي ما أوردها ف. سولافييف في روايته "عملية الضريح".

إلى مقالة دكتور العلوم التاريخية غ.ز. أيوفيه، التي جاءت تحت عنوان "هل تبين أن لينين مات مسموماً من قبل ستالين"، يرد فيها على ما جاء في مقالة "العنوان" السابقة الذكر.

وأخيراً ننهي العمل بمقابلة أجرتها مجلة الأزمنة الحديثة مع زعيم التروتسكيين الحالي، ارنست ماندل، وفيها يبوح هذا المفكر برأيه ورأي تنظيمه في البيريسترويكا التي شغلت العالم. وقد جاءت المقابلة تحت عنوان "التروتسكيون والبيريسترويكا".

ليون تروتسكي
بين الأسطورة والحقيقة

اعتقد الكثيرون منذ زمن ليس بعيداً، أن قضية "تروتسكي والتروتسكيون" خضعت للدراسة الكافية الوافية في تاريخ حزبنا. في الحقيقة، إذا تطرقنا إلى كمية الإصدارات والمطبوعات، التي تعرضت لهذه القضية كمقياس لذلك فعندها يصبح هذا الاعتقاد صحيحاً. وأغلب هذه المطبوعات تعرضت لهذه القضية تجريدياً من دون الغوص في سيرة حياتها.

في هذا الزمن، وفي مثل هذه الظروف التي أصبح فيها من الضرورة بمكان إعادة النظر في تاريخنا الماضي وكشف اللثام عن بقعه البيضاء الكثيرة، يجب العودة والكتابة عن حقيقة الأمور.

حتى الآن، وعندما كان يدور الحديث حول دور تروتسكي والتروتسكية، كان يدور الحديث، بادىء ذي بدء، عن الدور السلبي، الذي لعبته في الحركة الثورية الروسية والعالمية ولا سيما في حزبنا. وهذا من الواضح جداً، لا سيما في النواحي التي تخص نشاط تروتسكي ومناصريه فقد كان دائماً يقال: إن نشاطاته جلبت عدم الاستقرار لشيوعيي بلدان مختلفة في الحاضر كما في الماضي.

وقياساً على ذلك يطرح السؤال التالي: إذا كان تروتسكي على ما هو عليه، فلماذا صمتوا عنه في الحزب ما قارب العشر سنوات (من آب ١٩١٧ حتى تشرين الثاني ١٩٢٧)؟ وهم لم يصمتوا عنه فقط، بل وثقوا به وحملوه مسؤوليات، وأوكلوا إليه مناصب هامة وكبيرة، إن كان في الحزب أم في الدولة.

إن الجواب على مثل هذا السؤال ليس سهلاً كما نتصور.

صفحات من حياته:

ولد ليون دافيدوفتش تروتسكي (اسمه المستعار برانشتاين، كان قد لقبه به أحد مراقبي سجن أوديسا)، لمصادفة القدر في اليوم الذي ولد فيه عدوه المستقبلي ستالين من عام ١٨٧٩ في التاريخ نفسه، الذي قامت فيه انتفاضة أوكتوبر - ٢٥ اوكتوبر.

انتسب تروتسكي للعمل الثوري في عام ١٨٩٧ .هرب من منفاه في سيبيريا عام ١٩٠٣ وتوجه إلى خارج البلاد، حيث شارك هنالك في أعمال المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي، وكان حينها ينضوي تحت جناح المناشفة. اشترك بنشاط في الثورة الروسية الأولى ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، التي قامت في بتروغراد، وكان نائباً لرئيس السوفييت خروستاليف - أ ناساري، وبعد اعتقال الأخير قام تروتسكي بمهام الرئاسة.

بعد ذلك، هاجر تروتسكي من جديد وبدأ خوض صراع ضد لينين والبلاشفة، وعن هذا الأمر تتحدث كتب التاريخ بإسهاب شديد.

وفي أيار عام ١٩١٧ ، عاد تروتسكي إلى روسيا ليشارك بنشاط في تنظيم المناطق الحزبية. وفي صيف عام ١٩١٧ ، في اثناء انعقاد المؤتمر

السادس للمناطق، ظهر تروتسكي في تنظيم البلاشفة كشخصية بارزة حيث انتخب عضواً في اللجنة المركزية. وفي ٢٥ أيلول وقبل شهر واحد من انتفاضة أوكتوبر أصبح تروتسكي رئيساً لسوفيتات بتروغراد.

في هذه الأثناء، بدأت المرحلة المحيرة من سيرة حياة تروتسكي السياسية - في علاقته بانتفاضة اوكتوبر، التي كان يعدها البلاشفة. إن تروتسكي، بلا أدنى مجال للشك، هو من مشاركي انتفاضة أوكتوبر. لكن ما طبيعة هذه المشاركة؟ وحسب منطق الأمور، فيما أنه كان رئيساً للسوفيتات، فيجب أن يكون من المشاركين الفعالين فيها. لكن هل كان الأمر كذلك؟

... في ٢١ أوكتوبر (٣ تشرين الثاني) ١٩١٧ ، في أثناء انعقاد جلسة مشاورات في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي "البلاشفة"، قام دزير جينسكي بالإخبار عن غلبة فوضى تنظيمية في اللجنة التنفيذية لسوفييت بتروغراد، التي يترأسها تروتسكي. إثر ذلك اتخذت اللجنة المركزية قراراً بإدخال كل من سوكولوف، باخاموف، زارين، دزيرجينسكي، ستالين، لاشيغنتش، ايوف وغيرهم (١٠ من شخصيات البلاشفة) إلى اللجنة التنفيذية لسوفييت بتروغراد*.

لم يصوت تروتسكي ضد قيام الانتفاضة في جلسات اللجنة المركزية، لا في ١٠ ولا في ١٦ أوكتوبر. لكن هذا لا يعني أنه كان على أتم اتفاق مع لينين على كل شيء.

تلخص موقفه في انتظار انعقاد المؤتمر الثاني للسوفييت، الذي كان من المفترض أن ينقل السلطةإلى البلاشفة. لكن هل كان بإمكان هذا المؤتمر

---

* قرارات اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي "البلاشفة" (من آب الى شباط) عام ١٩١٧ ، ١٩١٨ . اصدار ١٩٥٨ . ص ١١٧ .

القيام بذلك؟ من الصعوبة بمكان الجواب بالإيجاب على ذلك، لا سيما في مرحلة الإعداد للانتفاضة.

حينما تعلم بموقف تروتسكي هذا، يصبح من الصعوبة القول إنه كان من المشاركين النشطاء في الانتفاضة المسلحة. وكان ستالين قد أكد على ذلك، إذ ظهر مثل هذا الرأي في الصحافة لأول مرة في "البرافدا" في عددها الصادر في ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٨ .

لكن رواية ستالين هذه، دحضت من قبل تروتسكي نفسه. إذ علل في مؤلفه "دروس أوكتوبر" (الصادر عام ١٩٢٤) سلبيته أيام أوكتوبر معتمداً على أن النجاح في انتزاع السلطة من قبل البلاشفة كان محدداً مسبقاً وقبل ٢٥ من الشهر ذاته، وبأمر من اللجنة العسكرية الثورية (تنظيم سوفييت بتروغراد)، عندما رفضت القوات الخضوع لأوامر الحكومة المؤقتة وبدأت مغادرة المدينة. بعدها - يؤكد تروتسكي - أن انتفاضة الخامس والعشرين من اوكتوبر اصبحت تحصيل حاصل".

عضو في الحكومة:

احتل تروتسكي، حسب اقتراح سفردلوف، منصب مفوض الشعب للشؤون الخارجية في الحكومة السوفيتية الأولى، وعادة ما يصف المؤرخون سلوك تروتسكي في هذا المنصب كعلامة على السعي لإجهاض سياسة لينين، حينما بدأ يطبق شعاره الفوضوي "لا حرب ولا سلم"، الذي طرحه بعد رفض الموافقة على شروط صلح بريست، المقدمة من قبل وفد حكومة كايزيروفسكي الألمانية.

نادراً ما كان يتم التطرق لدور تروتسكي الديبلوماسي. وتروتسكي بالذات هو الذي أقدم على نشر وثائق ديبلوماسية القياصرة السرية بإيعاز من

لينين ـ هذه حقيقة لم تكن معروفة في تلك الأيام. وأقام تروتسكي صلات وعلاقات مع ممثلي الدولة الأجنبية في روسيا السوفيتية.

وهنالك الكثير مما لا نعرفه عن نشاط تروتسكي في منصب مفوض الشعب للشؤون العسكرية، الذي شغله منذ ١٤ اكتوبر ١٩١٨ ، خلفاً لأحد منظمي إنتفاضة أوكتوبر الحقيقية وهو نادفويسكي. وفي ٦ نيسان أصبح تروتسكي مفوض شعب للشؤون البحرية أيضاً.

في ٢ آب، صدر قرارٍ من اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا يقضي بتشكيل مجلس عسكري ثوري للجمهورية، وأصبح تروتسكي أول رئيس لهذا المجلس.

لو أن ظروف اليوم هي التي كانت سائدة آنذاك لأصبح هذا التعيين في رئاسة المجلس العسكري الثوري غير محتمل، لا سيما حين نأخذ بعين الاعتبار القاعدة التي أشار إليها تروتسكي، في مجرى مفاوضات بريست. لكننا نقع في حالة ضياع تام إذا تناسينا ظروف تلك الأعوام، إذ كان يؤخذ بعين الاعتبار نشاط كل عضو حزبي مهما كان مستواه. حاول تروتسكي الحفاظ على موقعه في قمة هرم السلطة، وكما يقولون، استطاع أن يدوس على جراحه وأن يدخل في الدعاية السياسية للسلم.

في حزيران عام ١٩١٨ ، القى تروتسكي في المؤتمر الخامس للسوفيتات خطاباً طالب فيه بتأييد اقتراحه لتصديق قرار إنشاء الجيش الأحمر. وتضمن خطابه الآتي أيضاً: "يعمل ضمن الجيش الأحمر دعاة من أعدائنا، يسعون لايقاعنا في الحرب. آمر: يعتقل جميع هؤلاء المحرضين بعد إعلان هذا الأمر مباشرة، ويجب سوق هؤلاء إلى موسكو لعرضهم أمام محكمة الطوارىء العسكرية".

بذل تروتسكي جهوداً كبيرة في تشكيل قطعات الجيش الأحمر النظامي. وجرى في الجيش الأحمر، بناءً على قرارات اللجنة المركزية ولينين، واعداد كوادر قامت بتنفيذ: "... التدريب العسكري الإجباري في المدارس والمصانع والقرى والإعداد الجيد لكوادر عسكرية من خيرة المواطنين، ممن امتازوا بالإخلاص والبطولة والتضحية". وحاول تروتسكي التخلص من الفوضى التي سادت في الجيش إبان الحرب الأهلية، وطالب بالتقيد التام بالانضباط العسكري والهرمية العسكرية.

ما هذه إلا حقائق قليلة فقط، وهي كافية للإشارة إلى أن النشاط التاريخي الحقيقي لتروتسكي هو أكثر تعقيداً، بل أكثر تعقيداً وحجماً مما تصورناه عنه. وحسب أحداث التاريخ الماضي، لا يجوز لنا أن نقوم بتقييم أحادي الجانب لذلك "أبيض أو أسود".

وهنا أستطيع أن أؤكد حقيقة مفادها أن الجيش الأحمر انتصر في الحرب الأهلية بفضل تروتسكي وقيادته. ويشاركنا في هذا الرأي المؤرخون البرجوازيون.

لم يخضع نشاط تروتسكي في المجال العسكري، كقائد، لأي نقد جدي. وكأني به كان يستشعر أحاديث توقع أن تدور في المستقبل، لذا حاول الإجابة عليها مستبقاً. إذ يشير في كتابه البيوغرافي "حياتي" إلى أربع حالات كان له فيها مواقف خاصة، ونافح عن هذه المواقف أمام اللجنة المركزية، وأحياناً امام المجلس الثوري العسكري. ونذكر منها ـ تدمير قوات كولتشاك، القتال ضد دينيكيف والدفاع عن بتروغراد وصد هجمات يودنيتش والمجموعة البولونية.

لنتفحص إحدى هذه الحالات ـ الدفاع عن بتروغراد في خريف عام ١٩١٩ . اقترح تروتسكي حينها خطة للدفاع تلخصت بتسليمها للبيض.

وقف الحزب ضد تروتسكي وعدّ اقتراحه اقتراحاً فوضوياً. وأصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي "البلاشفة" تعليماتٍ بوجوب عدم استسلام بتروغراد "بتروغراد لا تستسلم!"، واستطاعت قيادة الجيش الأحمر والمدافعون عن المدينة صد أعداء ثورة أوكتوبر وعدم السماح لهم بدخول المدينة. وهكذا تم تنفيذ هذه التعليمات وانتصر الجيش الأحمر.

ونتيجة القول، نشير إلى أن انتصار الجيش الأحمر على جبهات الحرب الأهلية، يعود فضله الأول إلى رئيس المجلس الثوري العسكري تروتسكي. كما أن هذه الحقيقة هي حالة متناقضة ظاهرياً.

في سنوات البناء السلمي:

في عام ١٩٢٠ ، شغل تروتسكي منصب مفوض الشعب للمواصلات إلى جانب مناصبه السابقة الذكر. ومن واجب المؤرخين القيام بالقاء الضوء على نشاط تروتسكي وأعماله في هذا المنصب وتحليلها. لكننا قبل ذلك، يمكننا القول: إن تروتسكي عمل الكثير في هذا المنصب أيضاً.

فعلى سبيل المثال، طرح تروتسكي برنامجاً لتسريع بناء المحطة المركزية للقطارات البخارية في البلاد، واتخذ إجراءات كثيرة لتأمين عمل وسائط النقل. كما أبدى نشاطاً بارزاً في أثناء عمله في رئاسة اللجنة الحكومية، التي شكلت للإشراف على إعادة بناء مناجم الفحم واستخراجه، التي كان قد لحقها الدمار. واسهم في توطيد النظام والانضباط في العمل والرفع من إنتاجيته في مؤسسات الإنتاج وتعميم التنافس والتباري بين العمال. وهذا ما جعل لينين يصف تروتسكي في عام ١٩٢٠ في المؤتمر الثامن للسوفيتات بأنه أحد القادة الموثوق بهم وأنه قام بإنشاء مدرسة للعمل في إدارته.

لكن عندما بدأ تروتسكي طرح نظرية "الثورة الدائمة" وطالب

بتطبيقها على أرض الواقع، نشب خلاف بينه وبين لينين وبمعنى آخر بين التروتسكية وخط الحزب.

في هذه الأونة، حرك تروتسكي مفهوماً آخراً هو مفهوم "الاشتراكية العسكرية"، الذي كان يدعو إلى تحويل البلاد إلى ثكنة عسكرية ضخمة، حيث الجميع يعيش ويعمل حسب مبادىء الانضباط العسكري. وتعود إلى تروتسكي فكرة بقرطة النظام الحكومي والاجتماعي للبلاد، التي نال عليها تقديراً عظيماً من قبل "شيوخ البيروقراطية".

لم يستطع لا لينين ولا أغلبية أعضاء اللجنة المركزية التعايش مع النمط التروتسكي في "الاشتراكية العسكرية". وقف لينين ضد تروتسكي في المجادلات التي كانت تدور حول أطروحاته. كما أقدم مراراً على فضح الأديولوجية التروتسكية وخطها السياسي. وفي هذا كان لينين يقوم عادة بنقد الأسس التي ارتكز عليها تروتسكي. ولم يستخدم لينين قط طريقة التجريم على الأخطاء والانحرافات التي كانت ترتكبها شخصيات حزبية. ففي عام ١٩٢٢ في "رسالة إلى المؤتمر"، عاد لينين من جديد بتذكير الحزب بموقف تروتسكي ونقد تضخيمه لدور الإدارة وأشار إلى "لا بلشفيته".

المسألة المفتاحية.

كان مركز الجدل والصراع الفكري مع التروتسكية وأنصارها، الذي دار في الحزب في العشرينات، هو مسألة إمكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد محاصر ومتخلف اقتصادياً.

رأى تروتسكي ومناصروه بأنه ينحصر في توجه بناء الاشتراكية في بلد واحد، هو الاتحاد السوفيتي، جميع مصائب ومصاعب تطور البلاد، وخطأ الحزب في مساعيه، التي لا تدعو إلى تطوير الصناعة الحكومية وجعلها

تواكب مستويات تطور الفروع الأخرى من الاقتصاد الوطني، واقترحوا السير في طريق التصنيع السريع الوتائر للتغلب على ذلك.

استخدم التروتسكيون في هذا الصراع الحزبي الداخلي الطرق الانشقاقية والتكتلات وأساليب النشر والدعاية لأفكارهم وكأنهم في تنظيم سري ونقدوا وثائق الحزب وخطه واتبعوا خطاً مناقضاً لذلك.

وبهدف الوقوف في وجه الدعاوى التروتسكية وإضعافها، طُرح في العديد من المرات نقاش حزبي داخلي حول هذه المسائل. فقبل انعقاد المؤتمر الخامس عشر للحزب عام ١٩٢٧، نشرت جريدة البرافدا أطروحات اللجنة المركزية التي ركزت، بشكل رئيسي، على دحض المسائل التي يطرحها التروتسكيون. وخلال التصويت على ذلك في جميع المنظمات الحزبية وقف ٧٢٤٠٠٦ شيوعي مع أطروحات اللجنة المركزية وصوت لصالح التروتسكيون ٤١٢٠ وامتنع ٢٦٧٦ شيوعياً عن التصويت.

بعد هذه النكسة التي تعرض لها التروتسكيون، تحولوا إلى جناح حزبي معارض ومكشوف، ووجهوا معارضتهم للحكومة السوفيتية، وكانوا على الدوام ينتقدون خطها السياسي. ووجه تروتسكي من آلماآتا، التي نفي إليها في تشرين الثاني عام ١٩٢٧ ، وجه نحو ٨٠٠ رسالة إلى مناصريه عن طريق بريد سري خاص وتسلم زهاء ١٠٠٠ رسالة رداً عليها، حملت جميعها طابعاً سياسياً. وحملت جميع رسائله المرسلة من هناك طابعَ التأنيب للحزب وللحكومة وطالب فيها بالوقوف بحزم ضد القيادة الحزبية داعياً إلى تنظيم حلقات داخل الحزب من أجل ذلك وبهدف إفشال جميع الاتفاقيات الجماعية في مؤسسات الدولة.

وفي عام ١٩٢٨ توصل التروتسكيون إلى بناء تيار سري معارض للحزب ومعاد للتنظيم السوفيتي. الأمر الذي جعل الحزب والحكومة يبدلان

من أساليب نضالهما ضد التروتسكية، وقاما بإشراك التنظيمات الحكومية فيها واستخدام أساليب إدارية ضدها. وأرسل إلى تروتسكي ممثل عن الحزب يتمتع بصلاحيات واسعة يطلب منه التوقف عن قيادة المعارضة. لكنه رفض هذا الطلب رفضاً قاطعاً. وكان رد فعل الحكومة السوفيتية هو اتخاذها لقرار يقضي بطرد تروتسكي ونفيه خارج أراضي الاتحاد السوفيتي، ونفذ هذا القرار.

في البداية، أبعد تروتسكي إلى جزيرة قريبة من استانبول. كتب ونستون تشرشل حينها قائلاً: أصبح تروتسكي، الذي كان يشكل خطراً على آلاف الناس، أصبح الآن منسياً ككيسٍ قديم مليء بخرق بالية، حماراً في شعاب البحر الأسود.

أصبح الهدف اللاحق لنشاطات تروتسكي إنشاء أممية رابعة. ففي عام ١٩٣٨ وفي مكان ليس بالبعيد عن باريس،، اجتمع عشرون من أنصاره وأسسوا الأممية الرابعة، وعُدَّ هذا الاجتماع أول مؤتمر لها.

أما حياة تروتسكي فانتهت بشكل تراجيدي. إذ قتل عام ١٩٤٠ من قبل مواطن اسباني يدعى مير كادير في منفاه بالقرب من مدينة مكسيكو في ظروف لا تزال مجهولة وغامضة إلى الآن. ويتابع أنصار التروتسكية الآن نشاطاتهم في أكثر من ٦٠ بلداً ويقارب عددهم المئةألف. ولا يزالون إلى يومنا هذا ينشرون الدعاية لأطروحات تروتسكي التي تعود إلى الثلاثينات.

جوهر التروتسكية:

عرفت التروتسكية في العشرينات كانحراف اشتراكي ديمقراطي. وهي واحدة من تلوينات المنشفية. وهنالك أساس نطقي يدعونا إلى مثل هذا

التعريف إذ عاش في التروتسكية عدد من التوجهات المنشفية. وفي الوقت نفسه، كانت تفوح منها أحياناً بعض من خصال الراديكالية اليسارية.

لنعد إلى تقييم لينين للنظرية التروتسكية: "تعد نظرية تروتسكي نظرية أوريجينالية، تأخذ من البلاشفة نضالهم الثوري الحازم للتوصل إلى السلطة السياسية، ومن المناشفة - رفض دور الفلاحين".

عاشت ضمن التروتسكية وترعرعت ثوروية البرجوازية الصغيرة وطرقها الإصلاحية، وكانت كل واحدة مكملة للأخرى. وفي كل لحظة مناسبة كانت تدفع إلى الواجهة نظرية "الثورة الدائمة". وفي بعض الظروف كانت التروتسكية تظهر كنظرية راديكالية وأحياناً كانتهازية. وفي أعوام الحرب العالمية الأولى ظهرت على صورتها الفوضوية.

وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة مفادها أن أول من اتهم تروتسكي بالمنشفية هما زينوفييف وكامنييف وذلك في أثناء الجدل، الذي دار عام ١٩٢٣ ، وقاما بذلك هادفين جعل الحزب ينسى موقفهما الانتهازي إبان ثورة اوكتوبر عام ١٩١٧ .

وفي عام ١٩٣٢ ، قدم ستالين مدخلاً مختصراً لتعريف جوهر التروتسكية في رسالة وجهها إلى هيئة تحرير مجلة "الثورة البروليتارية"، أشار في نهايتها إلى وجوب التوقف عن طرح طرق ووسائل فكرية ضد التروتسكية، لأنها توقفت عن أن تصبح "جناحاً شيوعياً". وفي تقريره المقدم إلى الاجتماع الرئاسي المنعقد في شباط - آذار عام ١٩٣٧ ، قال: إن التروتسكية لم تكن مؤهلة مطلقاً للحياة وللوجود كاتجاه سياسي في الحركة العمالية العالمية، وأنصارها مخربون ولا مبدئيون وهم عصابة منحرفين وجواسيس لأجهزة المخابرات الأجنبية.

وأدى الانتصار الذي حققه الحزب الشيوعي لعموم روسيا "البلاشفة" على التروتسكية إلى إخراجها من الحركة الشيوعية المنظمة. وتوقفت التروتسكية عن أن تصبح "تياراً شيوعياً". وإثر ذلك سارت في طريق الصراع المكشوف ضد الاتحاد السوفيتي والكومنتيرن وأحزابه.

لكن الحقيقة، لا تقول ذلك. إذ لم تتوقف التروتسكية عن كونها تياراً شيوعياً. وانتعشت التروتسكية مجدداً في الستينات، وتبين أن العديد من الأحزاب الشيوعية والعمالية كانت عاجزة عن الوقوف في وجه توسعها وانتشارها والتصدي الفكري لها.

تروتسكي المجهول

ترسخ في وعينا الاجتماعي اعتقاد مفاده، أن ستالين بعد إبعاد منافسه على السلطة، بعد صراع طويل، أقدم على تطبيق أفكاره في الحياة. وأنه حتى لو كان تروتسكي هو قائد الحزب والدولة، لما أصبح تاريخنا أقل تراجيدية. هل هذا الاعتقاد صحيح؟

لا نضع أمام ناظرينا هدف عرض وتحليل الأفكار السياسية المبكرة لتروتسكي، لأن أفكاره المتأخرة، التي صدرت عنه قبل خمسين إلى ستين عاماً، أكثر أهمية منها. وعلى الرغم من قدمها، غير أنها لا تزال تتماشى مع روح أيامنا هذه.

يحدثنا عن هذه الأفكار ف. روغوفين، دكتور العلوم الفلسفية.

أشار تروتسكي في مجال وصفه للستالينية، بأنها ردة فعل بيروقراطية قوية ضد ثورة أوكتوبر قائلاً: "قضت ثورة أوكتوبر على الامتيازات وأعلنت الحرب على التمييز الاجتماعي وعممت الإدارة الذاتية للشغيلة مكان البيروقراطية، ولم تتصالح مع السرية في الدبلوماسية، وسعت جاهدة لتقديم صورة واضحة شديدة الشفافية لجميع العلاقات الاجتماعية. أما الستالينية فأعادت الامتيازات ووطدّت أشكالها المهيبة ودعمت التمييز الاجتماعي

وخنقت المبادرات الجماهيرية بواسطة السلطة البوليسية، وحولت الإدارة إلى مونوبوليا لأوليغارشية الكريملين، وخلقت عبادة الزُهَى في السلطة بأشكال لم تكن حتى الفوضوية المطلقة تحلم بها".

في الثلاثينيات، ظهر التناقض جلياً بين المبادىء الماركسية والحقيقة السوفيتية في جميع مجالات حياة المجتمع.

الاقتصاد:

في بداية العشرينات، أكد تروتسكي على إيجابيات الاقتصاد المخطط والقدرات الهائلة التي يجلبها. لكنه أشار إلى أنَّ الاستخدام الخاطىء، أي عندما تصبح التجاوزات البيروقراطية هي السائدة، يصبح من السهولة بمكان تحويل هذه الإيجابيات إلى نقيضها، الأمر الذي يؤدي إلى "تركيز الأخطاء ورفعها إلى مستوى أعلى". "ووصلت المحاولات الوليدة لبناء خطة اقتصادية سليمة، ابتداءً من تحديد عدد الهكتارات، الواجب زراعتها قمحاً وانتهاءً بتحديد عدد الأزرار، التي يجب تركيبها على الصدرية، إلى الفشل". وكان سبب هذا الفشل هو إفساح المجال لمركز واحد ليدير ويوجه جميع مراحل وأعمال مؤسسات الاقتصاد الوطني (قيادة اقتصاد ١٧٠ مليون إنسان).

نوه تروتكسي أيضاً إلى أنه لا يمكن أن تنجح قيادة الاقتصاد المخطط في المرحلة الانتقالية، إلا بتواتر وترابط ثلاثة عناصر هي: التخطيط الحكومي، السوق والديمقراطية السوفيتية". لم ير تروتسكي الخطة كوصية (فريضة) جامدة، بل كفرضية عملية خاضعة للتدقيق وللتصحيح، أثناء مجرى عملية تطبيقها. وحسب رأيه، يجب اختبار الخطة من خلال السوق "لا يجب أن ترتكز الخطة على معطيات وأرقام تخيلية فقط، بل ستبقى لعبة العرض

والطلب المصحح المادي الضروري لها لمدة طويلة".

"لا تعني المرحلة الانتقالية من الرأسمالية إلى الاشتراكية، بأي شكل من الأشكال، تقليصاً لدورة البضاعة، بل تعني العكس تماماً، أي توسيعاً لهذه الدورة". يفسر هذا قبل كل شيء بـ "أنه لا يمكن للبناء الاشتراكي الناجح أن يتم من دون أخذ مصالح وحاجات المستهلك والمنتج المباشرة بعين الاعتبار. كما لا يجوز إهمال أنانية المستهلك والمنتج أيضاً، التي يمكن أن تظهر بشكل مثمر في تلك الحالة التي تستخدم فيها النقود للتبادل، لأن الأخيرة تعتبر سلاحاً مرناً وأميناً، طبيعياً لخدمة هذه الأنانية".

أكد تروتسكي مرة أخرى إلى أن "وحدة النقد القوية (البطاقة النقدية)*. تعتبر سلاحاً هاماً للنيب"**.. وعندما تسير البيروقراطية في طريق "الخنق الإداري للنيب"، تكون قد قررت "عدم اعتبار البطاقة النقدية لجاماً لباع الخطة، بل على العكس اعتبرتها مصدراً مستقلاً للرسملة (توظيف الرأسمال). وانحصرت عندها أهمية هذه الوحدة النقدية في إغلاق الثقوب بوساطة آلة الطباعة".

وأثناء هذا وذاك، لم ير ستالين وشركاؤه أية خطورة من التضخم النقدي، في الوقت، الذي فيه يجري تطبيق الخطة. "وهذا يشبه تلك الحالة، التي نقول فيها أنه بوجود الجايرو***. ليس هنالك أية خطورة من إحداث ثقب في جسم السفينة".

نصح تروتسكي موظفي هيئة تخطيط الدولة قائلاً: "عليكم، في الحالة التي تتحول فيها التناقضات في قرارات المكتب السياسي للحزب إلى لغة

---

* عملة نقدية من فئة العشر روبلات – المترجم.
** السياسة الاقتصادية الجديدة – المترجم.
*** الجايرو – جهاز التوازن الافقي في السفينة – المترجم.

الأرقام، أن تعلقوا في جميع مكاتبكم إعلاناً يقول: إن التضخم النقدي هو سفلس الاقتصاد المخطط". أما في الحقيقة، يكون التضخم النقدي أكثر خطورة على الاقتصاد المخطط منه على الاقتصاد الرأسمالي الحر. "حيث نستطيع في الاقتصاد المخطط إخفاء التضخم النقدي لمدة طويلة بأساليب إدارية. الأمر الذي يؤدي إلى دفع ثمن أكثر غلاءً في المستقبل!".

يتحول التضخم النقدي، كما أشار تروتسكي، إلى مجموعة فارغة من الكلمات كالحساب الاقتصادي وغيرها من الأساليب الاقتصادية، القادرة على إيجاد أسواق جيدة. وهذا يعني فرض ضرائب متزايدة وقاسية على حياة جماهير الشعب، وفي الوقت نفسه، تظهر طلباً كبيراً على السوق السوداء وسلعه. ويضيف قائلاً: يكون تأثير التضخم النقدي مميتاً، بشكل خاص، على الاقتصاد الزراعي،لأنه يُستقبل باندهاش مشروع من قبل الفلاح، عندما يرى الجمود المستمر لأسعار سلعه الزراعية.

كما تطرق تروتسكي لأسلوب الإجبار، المطبق في العمل التعاوني الزراعي ونقده نقداً لاذعاً، وقال بهذا الخصوص: "لا يمكن تطبيق التعاون في الحياة الزراعية، إلا في تلك الحالة، التي يصبح فيها تطبيقه مفيداً للفلاحين وعندما تبنى علاقات متبادلة بين الكولخوز والعالم الخارجي على أسس المصلحة التجارية".

السياسة:

رأى تروتسكي أن الابتعاد الأعظم للستالينيين عن النظرية الماركسية اللينينية، كان في خنق الديمقراطية السوفيتية. فمنذ بداية الثلاثينات "جُمدت الاتحادات النقابية وجمد الحزب.. والحق الوحيد، الذي ابقته البيروقراطية، في النهاية، للعمال هو - حق تجاوز تنفيذ الخطط الإنتاجية".

كانت تُحل المسائل الفائقة الأهمية للاقتصاد الوطني، بسرية تامة، في حلقات المكتب السياسي، المؤلفة من "بيروقراطيين استولوا من الحزب على السلطة، يمننون الأرض لأنهم يدوسون بأقدامهم عليها إلى جانب انفلاشهم ومبالغتهم المستمرة في تضخيم نفوذهم".

لجأت البيروقراطيةإلى حماس الجماهير الثوري لتنفيذ المهام الاقتصادية، لأنها لم تستطع ذلك بوساطة السوط الإداروي. إلا أن هذا الحماس، غير المدعوم بالتحسن المادي الملموس في وضع الشغيلة المادي والثقافي، سرعان ما ذاب وتحول إلى نقيض هدفه - تدهور فيزيائي وخور في الطاقة الروحية وظهور اللامبالاة الاجتماعية وخيبة الأمل في فكر الاشتراكية نفسها.

تسعى البيروقراطية، والقول هنا يعود لتروتسكي، إلى اقناع الجماهير بضرورة تقديم التضحيات المادية والتقشف (التي لا تشارك فيها الشعب بأي شيء) من أجل التحسن السريع لظروف الحياة. ويقول تروتسكي بهذا الخصوص: "إن الجماهير قادرة على تقديم التضحيات العظيمة، إذا انجلى الأفق أمامها واتضحت الشروط الموضوعية لذلك... والحزن يعتري هذه الجماهير، عندما تشعر بان وعود هذه القيادة هي مجرد وهم وتضليل". وعندما تقدم البيروقراطية على تقديم الوعود الزائفة بسخاء، لا تضلل نفسها فحسب، بل الجماهير بشكل رئيس وتحفر أزمة من عدم الثقة بينها وبين الجماهير.

العلاقات الاجتماعية:

كتب تروتسكي قائلاً: "إن الاشتراكية، هي عمل لأجيال المستقبل، إلا أنها يجب أن تؤسس بذلك الشكل، الذي يمكن حمله على أكتاف جيل اليوم". طرحت الستالينية سياسة اجتماعية مناقضة لذلك، دفعت بالشعب

إلى هاوية الفقر. أما تروتسكي فطالب بـ "توفير الغذاء لجماهير العمال وعائلاتهم، المسكن واللباس وإحلال النظام في مجال إنتاج سلع الاستخدام العام، التي يجب أن تتوافق مع الاحتياجات البشرية، لا مع احتياجات مخلفات المواد الأولية للصناعة الثقيلة. هذا هو الشرط الرئيس: الذي يجب أن يعطى أهمية أكبر من تلك الأهمية الممنوحة لنجاحات البناء السريعة في مشاريع الدنيبر، توركستان والكوربيك وغيرها".

رأى تروتسكي أن أسباب فقر الشعب لا تنحصر فقط في التبذير غير المنطقي، لجزء هام من الخيرات الوطنية، الذي تقوم به القيادة البيروقراطية، بل أيضاً فيما تقوم به من استيلاء شخصي على نصيب الأسد من الدخل القومي، إلى تلك الدرجة، التي يصل فيها نصيب الشريحة القائدة والمهيمنة على السلطة والتي لا تتجاوز بنسبتها ١٥ - ٢٠٪ من مجموع الشعب، إلى ٨٥٪ من الدخل القومي. لا تنحصر مداخيل البيروقراطية في الرواتب الرسمية. إذ يضاف إليها تلك الرواتب السرية لما يسمى (الموظفون الرسميون) تدفع من خزائن اللجنة المركزية ولجان المناطق وما يستخدمونه من سيارات رسمية لأمورهم الخاصة وما كلفته مصانعها، ولا تنس بهذا الخصوص تلك الشقق الفخمة والبيوت الريفية والمنتجعات والمشافي، الموضوعة تحت تصرفهم، وليس لهذه المصاريف النبيروقراطية أي مستند لا في مبادىء الاشتراكية ولا في قوانين الدولة، ولهذا تعتبر نهباً جلياً واضحاً".

تتميز طبقة الأثرياء الجدد (البيروقراطية) بجميع الخصال السيئة، التي امتازت بها جميع الطبقات المالكة السابقة عبر التاريخ. وإذا نظرنا إلى هذا الأمر من وجهة نظر مصالح جماهير الشعب، يمكننا أن نقول أن سلطة البيروقراطية المطلقة وغير الخاضعة للمراقبة هي أسوأ من أي استغلال طبقي

واضح "يشبه النموذج الحياتي لشريحة بيروقاطيتنا العليا، ذلك النموذج، الذي تحيا فيه بورجوازية الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الرأسمالية". في الوقت، الذي فيه تعيش جماهير شغيلة الاتحاد السوفيتي في مستوى من الحياة أدنى ونموذج أسوأ بكثير، مما هو عليه الحال عند نظيراتها في الدول الرأسمالية.

توقعات

"سوف يؤدي التطور المستقبلي غير المعاق للبيروقراطية حتماً إلى تجميد النمو الاقتصادي والثقافي وإلى ظهور أزمات اجتماعية خطيرة وإلى نكسة ستؤثر على كامل المجتمع". وفي ظروف كهذه، لا يستطيع التسلط البيروقراطي إنقاذ الوضع المتدهور، لسبب سقوط هذا الجهاز البيروقراطي ليصبح الضحية الأولى للتناقضات السلطوية وتوجهات مركزها".

"إذا استطاعت التناقضات الاجتماعية تفجير الملكية الوطنية والاقتصاد المخطط وإيجاد طبقة مالكة جديدة على هذا الأساس، عندها سوف تهزم الدولة الاشتراكية ليحل مكانها نظام رأسمالي متلحفاً بالفوضى". وسنصل إلى هذه النتيجة الحتمية ، "بعد السقوط الكارثي للاقتصاد والثقافة". ويمكن لهذا أن يؤدي إلى نشوب حرب أهلية جديدة.

"تحمل عملية اسقاط البيروقراطية، كما اعتقد تروتسكي، في طياتها فائدة عظمى، إذا حققناها ونحن متمسكون بالثورة الاشتراكية، إذ ستدار تحت راية النضال ضد التمييز الاجتماعي والاستعباد السياسي. ويمكن لهذه الثورة أن تبدأ بالاضرابات الجماهيرية كسلاح دفاع ذاتي للعمال، الذين يسعون لتوطيد رقابتهم على الحكومة والاقتصاد. أما في الحزب الرسمي فستهيمن حالة مفيدة من التشويش الداخلي.

بعد مرحلة اضطراب واهتزازات وضياع للزمن... وسوف يعبر عن التقاليد الحزبية عند بعضهم بالسير إلى الأمام، وعند آخرين بالتوقف ولم شمل الحزب". لكن، عند ظهور المبادرات الضرورية في الحزب نتيجة أزمته الداخلية العميقة، سيستطيع تجديد ذاته وسيواكب حركة تجديد الجماهير بادئاً بالقضاء على الامتيازات، الأمر الذي سوف يجلب معه تغييرات عميقة في توزيع الدخل القومي حسب مصالح ورغبات الشغيلة.

"ظهرت، بعد الثورة السياسية البيروقراطية، سلطة جديدة للاقتصاد قامت بإصلاحات هامة عديدة، غير أنها ليست ثورة اشتراكية".

أشار تروتسكي إلى أن البيروقراطية في أثناء سعيها للحفاظ على سمعتها، زاوجت بين العماء الذاتي عن أخطائها والوصول إلى الاشتراكية، وبهذا أقدمت على "انتقاص الإشتراكية في عيون العمال والفلاحين خاصة. وكأنها تجبر العمال والجماهير عامة وبقصد للبحث عن مخرج خارج أطر الاشتراكية".

الترميدور

ليون تروتسكي (١٨٧٩ ـ ١٩٤٠)

يتحدثون اليوم كثيراً عن البيروقراطية. وعنها، دائماً كان الحديث يطول في المرحلة اللينينية وحتى أيام ستالين. إلا أن الحديث دار وقتها بشكل رئيس عن "مثالب معينة في الجهاز"، ولم يدر عنها كظاهرة اجتماعية أو كشريحة اجتماعية أو كعنصر في التركيبة السياسية، على الرغم من أن البيروقراطية السوفيتية كانت عماد السلطة، بما لهذه الكلمة من معنى. وكان ليف تروتسكي أحد أوائل الذين بحثوا البيروقراطية كظاهرة.

تروتسكي، بما أنه أحد بناة السلطة السوفيتية، فهو يعرف جيداً التربة التي ولد منها النظام الإداروي الأوامري.

أصبح الجهاز البيروقراطي القوي بأديولوجيته المونوبولية وآلة اضطهاده عماداً للنظام التوتاليتاري.

اهتم العديد من الدارسين بظاهرة البيروقراطية، منهم من أعطاها تسمية "طبقة جديدة" وآخرون "بيان اسمي". أما تروتسكي فباشر هذا العمل منذ العشرينيات وتوصل إلى نتيجة مفادها: يقع أحد مصادر البيروقراطية في

مفاهيم "الحزب ذي الطراز الجديد" و"بناء الاشتراكية في بلد واحد". ولاحقاً نبّه تروتسكي من خطورة إطلاق شعار "المحيط المعادي" واعتبره أداة لتوطيد سلطة الجهاز البيروقراطي.

وهنا يخرج تروتسكي عن موضوع تاريخنا. وكأني به كان الأخير من بين من طواهم النسيان من الآباء المؤسسين للدولة السوفيتية العظيمة. وحينما نعود لدراسة هذه الشخصية، يجب علينا أن نضعها على رقعة شطرنج تاريخ الثورة لكي تصبح الأمور أكثر وضوحاً.

لم يعرضوا أمامنا الصورة الواضحة للتناقض في شخصية تروتسكي، إذ بقيت ملتحفة بأساطير وخرافات.

أحد الرواشم، ديكتاتور قاسي القلب، أنانوي مفرط... بونابرتي العادات... نعم، اليوم فقط، أصبحت معروفة لنا، تلك الأساليب التي بنى فيها الجيش وعمم فيه "الانضباط الحديدي". ومن مراحل سابقة في التاريخ نتذكر: الجيش العامل، التنظيم العسكري للإنتاج ومؤسساته واتحادات النقابات المهنية. كان الأمر كذلك، وليس كذلك. كان شعار "الشيوعية العسكرية"، في مرحلة ما، عاماً وشاملاً. أقدم لينين لاحقاً على تقليمه، إلا ان تروتسكي كان أول من أطلقه. وتروتسكي قبل لينين أصبح من دعاة النيب. وشعاراته، التي أطلقها كـ "الشيوعية العسكرية"، لم تكن نتيجة ردة فعل بل كانت محاولة لخلق توازن في النيب ولتجنبت تحولها إلى الرأسمالية وللحفاظ على نجاحات البروليتاريا الروسية.

كان ليف تروتسكي، قبل كل شيء، رجل فكر، ليس على شاكلة "بونابرت". ونقترب من الدقة أكثر إذا أسميناه "آية الله". كان يتصف بالدوغمائية وبمهارات فنية، ومن هنا انطلق حب الذات لديه. وتفسر مناوراته السياسية وطريقة حفاظه على استقلاليته في "المرحلة المنشفية"، في

بداية القرن، أنه كان يجد حرية أكثر في التعبير بين اولئك المناشفة، الذين كانوا يصبرون على سماع الرأي الآخر، أكثر من ذائعي الصيت المشهورين، البلاشفة، مع العلم أنهم كانوا أقرب فكرياً إليه.... وعلى إثر ذلك سيدافع في المستقبل، بأسلوب طبقي تميز به، عن تطور الديموقراطية وصولاً حتى الدعوة إلى التعددية الحزبية. إلا أن هذا الأمر حصل في مرحلة هجرته (تغربه) أي في المرحلة التي كان فيها مطروداً خارج الوطن.

بدأ تروتسكي، بعدما خسر المعركة، بين عامي ١٩٢٧ - ١٩٢٩ ، بفضح النظام الستاليني من خلال ما كتب في "رسائل من البعيد". وكان يأمل تدمير النظام لذاته، غير أنه لم يعش هذا اليوم.

لم يتميز ستالين بالصفح عن اعدائه، لذا حاول جاهداً القضاء على عدوه الأول، وهذا ما حصل قبل خمسين عاماً.

لأول مرة، ننشر مقتطفات من كتاب "الاتحاد السوفيتي، إلى أين يسير في عهد ستالين؟". الذي كُتب عام ١٩٣٦ . ونحن بدورنا نقوم بنقلها عن الدار الفرنسية للمخطوطات، أعد هذا النص فلاديمير سيروتكين - دكتور العلوم التاريخية.

لا يمكن لأي مؤرخ لتاريخ الاتحاد السوفيتي أن لا يتوصل إلى نتيجة مفادها، أن سياسة البيروقراطية الحاكمة تحمل في العديد من المسائل طبيعة تعرجات متناقضة. ولا يمكن لأي محاولات، يقدمها أصحابها على التبرير أو الموافقة على "طبيعتها المتغيرة" أن تنجح. فالقائد هو، إلى هذه الدرجة أو تلك، متنبىء. ومن غير الممكن أن لا يرى جناح ستالين حتى ولو في مستوى متدن جداً، تلك النتائج الحتمية لهذا التطور، التي في كل يوم، تسقط على رأسه. إلا أنه ومع ذلك تابع الاعتماد على نظام الانعكاسات الإدارية. وأسست هذه العصبة نظرية الانقلابات الدورية، غير مكترثة

بالدروس، التي تعلمتها من الأمس. ويجب على المؤرخ، اعتماداً على تلك الوقائع الدامغة والوثائق، أن يصل إلى نتيجة مفادها، أن التحليل الذي قدمته "المعارضة اليسارية" كان صحيحاً، أما الوصف الذي أعطته لما يجري في البلاد وما ينتظرها في المستقبل، فكان دقيقاً جداً.

ويناقض هذا التأكيد، للوهلة الأولى، الحقيقة، التي تشير إلى انتصار هذه العصبة وأن التجمعات الفطنة تذهب من هزيمة إلى الأخرى، بغض النظر عن وضوح قصر النظر، التي تتميز به عصبة ستالين. أما المعارضة فترى أن الصراع السياسي تحول إلى لعبة شطرنج، والحزب بدوره تحول إلى حزب شطرنج. وبين هذا وذاك، يصبح جوهر النضال السياسي، نضال مصالح وقوى وليس نضال قناعة وحجج. وهذا لا يعني بأي شكل من الأشكال، أنه لا أهمية لما تكون عليه نوعية القيادة، لكن هذا ليس بالعامل الحاسم. ومن هنا تنطلق الحاجة في أن يقود كل جناح، في هذا الصراع، تلك القيادة، التي تتوافق مع طبيعة هذا الجناح أو ذاك بالشكل أو بالمضمون.

إذا كانت ثورة شباط، قد أوصلت كيرنسكي وتسيريتيلي إلى السلطة، فهذا لا يعني لأنهما كانا (الأذكى) أو (أمهر الصيادين) من طاقم القيادة القيصري، بل لأنهما مثلا حينها الجماهير الشعبية الثائرة، التي انتفضت ضد النظام القديم. ولو استطاع كيرنسكي اعتقال لينين وغيره من قادة البلاشفة، الذين اختفوا حينها، وإرسالهم إلى السجون لما توانى في ذلك، لأن أغلبية الجنود والعمال كانت تسير في تلك الأيام خلف البرجوازية الصغيرة البطلة.

إنحصرت إيجابية كيرنسكي، إذا كان لهذه الكلمة مكان هنا، في أنه استطاع وبجدارة أن يركب موجة الأغلبية الساحقة. ولم ينتصر البلاشفة بدورهم على البرجوازية الديمقراطية الصغيرة، بسبب ما تفوق به قادتهم من خصال، بل لأن تقديرهم لتوزع القوى الاجتماعية كان صحيحاً، وأخيراً

تمكنت البروليتاريا من توجيه عدم الارتياح لدى الفلاحين ليصب في خانة البرجوازية.

فقدت تأكيدات الأدبيات السوفيتية البديهية القائلة بأنه لا يمكن استخدام قوانين الثورات البرجوازية في الثورة البروليتارية، جميع مضامينها العلمية. أما السمة البروليتارية وتحالفات القوى الداخلية لانقلاب اوكتوبر، فحُددت انطلاقاً من الوضع العالمي، إلا أن تشكل الطبقات، كان في وضع تميز ببربرية قيصرية ورأسمالية متخلفة، ولم تكن هذه الطبقات جاهزة لاستخدامها بطلب خاص لحاجة الثورة الاشتراكية لها. والعكس هنا صحيح: إذ حققت البروليتاريا الروسية المتخلفة خلال شهور قليلة قفزة فريدة في التاريخ، حينما نقلت البلاد من حالة شبه إقطاعية فوضوية إلى سيادة ديكتاتورية البروليتاريا، لذا كانت جميع ردات فعلها تنطلق من مصالحها الذاتية. وتطورت ردات الفعل هذه لتصبح عبارة عن تيارات تسير في موجات متعاقبة. وساعدتها على ذلك الظروف الخارجية وحالات التنافس المستمرة والتدخلات إثر التدخلات وعدم وصول أية مساعدة من بروليتاريا الغرب الأوربي. وبدلاً من قطف الخير المنتظر، هيمنت في البلاد حالة من الفاقة والفقر. ويضاف إلى ذلك استشهاد العديد من ممثلي الطبقة العاملة أو صعودهم للترقي على سلم السلطة وانقطاعهم عن الجماهير. وبعد استنفاذ الجهود والآمال والأوهام، قدمت مرحلة طويلة من الإنهاك والسقوط وخيبات الأمل والانحطاط. وأدى الجذر، الذي حصل "لعزة الدهماء" إلى مدٍ في خور العزيمة والتخاذل والجبن والوصولية. وخلال هذه الموجة برزت شريحة جديدة من القادة.

لعبت عملية تسريح الجيش الأحمر، الذي بلغ تعداده خمسة ملايين، دوراً كبيراً في تشكيل البيروقراطية، لأن القادة الذين حققوا الانتصارات

تبوأوا مراكز عالية في السوفيتات المحلية وفي الاقتصاد وفي مجال التربية وأقدموا على التطبيق الحازم لذلك النظام، الذي قادهم إلى النصر في الحرب الأهلية. وبهذا تم إبعاد الجماهير من مختلف الاتجاهات عن المشاركة الفعلية في قيادة البلاد...

بدأت البيروقراطية الفتية، التي برزت في البداية كوكيلة عن البروليتاريا، تبوء نفسها في مجالس تحكيمية بين الطبقات، وتنمي استقلاليتها بإضطراد. وبين هذا وذاك كان الوضع العالمي وتأثيره القوي. وكانت ثقة البيروقراطية بنفسها تزداد، مع ازدياد الضربات الموجهة للطبقة العاملة العالمية. لا توجد بين هذه الحقائق، علاقة زمنية فحسب، بل هنالك علاقة سببية أيضاً. وفي كلا الاتجاهين: ساعدت قيادة البيروقراطية الانتكاس والهزيمة، والهزيمة ساعدت في صعود البيروقراطية. اندحار الانتفاضة في بلغاريا والانسحاب المخزي لأحزاب العمال عام ١٩٢٣ في ألمانيا وإحباط محاولات الانتفاضة عام ١٩٢٤ في استونيا والتغلب على الاضرابات العامة في إنكلترا والسلوك المخزي لأحزاب العمل في بولونيا أثناء تبوؤ بيلسودسكي العرش عام ١٩٢٦ والتحطيم القاسي للثورة عام ١٩٢٧ في الصين والهزائم الأكثر فاجعة في ألمانيا والنمسا، التي لحقت ذلك ـ هذه هي الكوارث التاريخية، التي قتلت إيمان الجماهير السوفيتية بالثورة العالمية وسمحت للبيروقراطية لكي تسمو أكثر فأكثر إلى الأعلى لتصبح المعلم والمنقذ الوحيد... أما البيروقراطية نفسها فكانت تنتقد المعارضة قائلة: "تنوي المعارضة جرنا إلى حرب ثورية في سبيل إشعال ثورة عالمية، يكفي صدمات!... بأنفسنا سنخلق مجتمعاً اشتراكياً. اعتمدوا علينا، نحن زعماؤكم!".

سادت دعوات الخلود للراحة هذه بين رؤساء الأجهزة العسكرية منها والمدنية، ونالت استجابة كبيرة بين صفوف العمال المنهكين وخاصة في

صفوف جماهير الفلاحين.

هل كانت المعارضة على أتم الاستعداد للتضحية من أجل مصالح الاتحاد السوفيتي وأفكار "الثورة الدائمة"؟ - سؤال طرح آنذاك. في الحقيقة، نشبت الحرب من أجل المصالح الحياتية للدولة السوفيتية. أوصلت سياسة الكومنترن الكاذبة في عشر سنوات إلى انتصار هتلر في ألمانيا، أي خلقت خطراً عسكرياً داهماً من جهة الغرب. أما السياسة في الصين، التي لم تكن أقل كذباً من الأولى فأدت إلى شحن جرعة كبيرة من القوة في جعبة الإمبريالية اليابانية وقربت الخطر من جهة الشرق... عُزِلت المعارضة، وضربت البيروقراطية "الحديد وهو حامٍ"، مستغلة حالة الجزع والسلبية، التي هيمنت على الشغيلة ووضعتها في حالة تناقض مع الشرائح الأخرى. وبدأت هذه البيروقراطية تعتمد بالتدريج على الكولاك والتكتلات البرجوازية الصغيرة لتساعدها في تحطيم طليعة الثورة البروليتاريا وأنجزت هذا العمل في عدد قليل من السنين.

يعد الظن القائل أن ستالين المجهول، خرج فجأة حاملاً كامل عتاده وأسلحته ومتلحفاً بخطة استراتيجية، يعد ساذجاً. لا، إذ قبل أن يكتشف ستالين طريقه، اكتشفته البيروقراطية نفسها. ووصل إليها ستالين حاملاً معه جميع الضمانات اللازمة، صيت البلشفي القديم، الطباع القوية، أفق رؤيا ضيق وعلاقة وطيدة مع الجهاز كمنبع وحيد للتأثير الشخصي. أما النجاحات، التي كانوا يعزونها له شخصياً، كانت للوهلة الأولى مفاجأة له. وانتشر صدى ذلك بين عناصر الشريحة القيادية الجديدة، التي سعت للتحرر من المبادىء القديمة ومن مراقبة الجماهير، التي تحتاج، الكلام هنا يعود إليهم، إلى قضاء تحكيمي دائم للبحث في قضاياهم الداخلية، وستالين، الشخصية الثانوية...اكتشف ذاته فجأة زعيماً أوحد لا منازع له

لبيروقراطية التيرميدور، وأنه الرئيس فيها.

ظهرت، من جديد، أفكار تميز هذه الشريحة القائدة الجديدة وتدافع عن مصالحها. وقفت الغالبية العظمى من الجيل القديم في صف البيروقراطية الحالية وكانت أيام ثورة اوكتوبر في الجهة الأخرى من المتراس (لنأخذ على سبيل المثال السفراء السوفييت الحاليين: ترويانوفسكي، مايسكي، بوتمكين، سوريتس، خينتشوك وغيرهم)، أو في أفضل الحالات كانت بعيدة عن الصراع. أما جزء البيروقراطية الثاني فيشكل من الذين كانوا في معسكر البلاشفة، لكن أدوارهم كانت ثانوية في ثورة اكتوبر. والجزء الثالث والأخير تشكل من الشباب، الذين انتخبوا ودربوا من قبل الأكبر سناً منهم، وغالباً ما كانوا أنجالهم. وهؤلاء لم يشاركوا في ثورة أوكتوبر، إلا أنهم أصبحوا أكثر الناس قدرة على استغلالها...

لم تنتصر البيروقراطية على المعارضة اليسارية فحسب، بل انتصرت على حزب البلاشفة وعلى برنامج لينين، الذي كان يرى الخطر كامناً في تحويل مؤسسات الدولة من خدمة المجتمع إلى الهيمنة عليه.

انتصرت هذه البيروقراطية على جميع أعدائها ـ المعارضة، الحزب ولينين ـ لا بالأفكار والحجج، بل بالمعنى الاجتماعي الخاص وعلقت رأس الثورة بخلفية ثقيلة من الرصاص...

أعد الحزب البلشفي ثورة أوكتوبر وخاضها وانتصر فيها وبنى الدولة السوفيتية وغرس لها أساساً متيناً. إلا أن إعادة ولادة هذا الحزب أصبحت سبباً ونتيجة لبقرطة الدولة...حافظ الحزب سابقاً على حدود واضحة ودافع عنها بصرامة واستخدم جميع الذين استطاعوا اختراق هذه الحدود بما تميزوا به من خصال تؤهلهم في توجيه دفة السياسة الحزبية. وتميز النظام الداخلي لحزب البلاشفة بأساليب الديمقراطية المركزية. وكانت حرية النقد والصراع

الفكري جزءاً لا يتجزأ من ديمقراطية الحزب. أما النظرية الحالية، التي تدعي أن البلشفية لا يمكنها أن تتصالح مع الانشقاقات (الأجنحة)، فما هي إلا شعار مرحلة الهزيمة. أما الحقيقة فتشير إلى أن تاريخ البلشفية هو تاريخ صراع أجنحة. نعم، فكيف كان يمكن لتنظيم ثوري، وضع نصب عينيه هدف قلب العالم وجمع قوى الشعب ليعارض تحت رايته ويضحي بمتمرديه ومقاتليه، أن يعيش ويتطور دون صراع أفكار؟ وتسنى لقيادة البلاشفة ذات الرؤية البعيدة دائماً إخماد النزاعات وتعقيد فترات صراعات الأجنحة، لكن ليس أكثر من ذلك... وكان نظام الحزب البلشفي، قبل وصوله إلى السلطة، يختلف كلياً عن نظم فروع الكومنترن الحالية وعن قادتهم المعنيين من القمة، الذين يتزعمون أجهزة غير خاضعة للرقابة ومتعالية على القواعد.

غالباً ما صاحب التقارب السريع بين الجهازين الحزبي والحكومي تأثيراً متبادلاً وأدى إلى كبت الحريات وأضعف مرونة النظام الحزبي، وفي أثناء ذلك كان كبح الديمقراطية يتناسب طرداً مع حجم الصعوبات. وبذلك ابتعد الحزب عن بداياته، التي أراد فيها الحفاظ على حرية الصراع السياسي ضمن أطر السوفيتات.

ولدَّ النمو السريع للحزب القائد، بسبب ظهور مهام جديدة كبيرة، خلافات داخلية حتمية في وجهات النظر. وضغطت التيارات المعارضة السرية عبر اقنية مختلفة على التنظيم الرسمي السياسي الوحيد، وهذا ما كان يعطي جرعة جديدة لحدة صراع الأجنحة.

ظل هذا الصراع يمتلك أشكالاً حادة تهدد كيان الدولة السوفيتية حتى لحظة نشوب الحرب الأهلية في آذار عام ١٩٢١ ، أيام انتفاضة كرانشتادت، التي أيدها عدد ليس بالقليل من البلاشفة، الأمر الذي جعل

المؤتمر العاشر للحزب مضطراً لمنع تشكيل الأجنحة، أي نقل النظام السياسي للدولة إلى حياة الحزب الداخلية. واعتبر هذا للوهلة الأولى إتاوة اضطرارية، يجب أن تدفع بسبب الظروف القاسية. وانتصرت البيروقراطية، التي أصبحت تتعامل مع الحياة الداخلية للحزب من زاوية النظر المناسبة لإدارتها...

ذهبت جميع جهود ستالين، الذي كان لا يزال يتعاضد مع زينوفييف وكامنييف، لتصب في هدف تحرير الجهاز الحزبي من مراقبة أعضاء القواعد الحزبية. في هذا الصراع لخلق توازن في اللجنة المركزية، تبين أن ستالين كان أكثر مناصريه تأنياً. إذ لم يكن من مصلحته الانقطاع عن المسائل العالمية: ستالين الذي لم يعمل في هذا المجال بتاتاً. وتمثل التفكير البرجوازي الصغير عند هذه الشريحة القائدة الجديدة في ستالين بالذات، إذ كان على أشد قناعة بأن مسألة بناء الاشتراكية تتميز بصفتين وطنية وإدارية. تعامل ستالين مع الكومنترن تعامله مع شر لا بد منه، واستخدمه، قدر المستطاع، لتحقيق أهداف سياسته الخارجية. ورأت عيناه حزبه الخاص كسند خاضع للجهاز. وفي الوقت الذي أطلقت فيه نظرية "الاشتراكية في بلد واحد ظهرت نظرية تقول: إنه في البلشفية لا اللجنة المركزية ولا الحزب يعنيان شيئاً وما هما إلا خادمان للبيروقراطية. وعادة ما كان يتم تطبيق النظرية الثانية بنجاح أكبر من تطبيق الأولى. وبعد موت لينين، أميط اللثام عن ما سمي المجموعة الحاكمة "الطاقم اللينيني" وفتحت بوابات الحزب، التي كانت محافظة على ذاتها حتى ذلك الوقت، على مصراعيها: ودخلت عبرها أمواج كبيرة من العمال والموظفين والشغيلة. وانحصر الهدف السياسي لذلك في إذابة الطليعة الثورية في ثوب إنساني رصاصي وإعادة الالتزام والعمل على تطبيق العادات الروسية القديمة، وهي الطاعة العمياء والخضوع الكامل للقيادة. وبعمله على تحرير البيروقراطية من رقابة طليعة البروليتاريا، وجه "الطاقم اللينيني" ضربة مميتة لحزب لينين. وفي النهاية، حصل الجهاز على ما أراده من

استقلالية، وحلت المركزية البيروقراطية محل المركزية الديمقراطية. وجرى في الحزب الأمر نفسه، إذ جرت فيه عملية تبديل راديكالية في المواقع، انطلقت من القمة وصولاً حتى القاعدة. واعتبرت البيروقراطية أن الطاعة هي الجرأة والإقدام عند البلشفي. وفي ظل شعار النضال ضد المعارضة، جرى تبديل الموظفين الثوريين. وبدأ تاريخ حزب البلاشفة يسجل تاريخاً لانحطاط سريع، وعتّم على المعنى السياسي للصراع الدائم لأسباب عديدة، منها أن قادة التكتلات المعارضة الرئيسة، المركز اليساري والمركز اليميني كانوا ينتمون إلى هيئة أركان واحدة تقبع في الكريملين أي في المكتب السياسي: وتهيأ لعقل الزعيم أن الأمر ينحصر في صراعات شخصية على وراثة لينين. لكن لا يمكن للصدامات (النزاعات) جوهرياً أن تظهر، في ظروف الديكتاتورية الحديدية، في أي مكان أكثر من مؤسسة الحزب القائد، وهذا في المرحلة الأولى...

في الوقت، الذي هيمن فيه انحطاط سياسي في الحزب، ساد فساد روحي في الجهاز المطلق الصلاحية، الذي لا يخضع للرقابة. ودخلت عبارة "البرجوازي السوفيتي" ـ المستخدمة كامتياز للوجهاء باكراً إلى الاستخدام في قاموس الشعب العملي. ومع الانتقال إلى النيب، كانت التوجهات البرجوازية توسع تربتها الخصبة بالتدريج.

حذر لينين في المؤتمر الحادي عشر للحزب، الذي انعقد في آذار عام ١٩٢٢ ، من مخاطر الانقلاب في الشريحة القائدة... لا يغير كسب السلطة علاقة البروليتاريا مع الطبقات الأخرى، فحسب، بل يبدل أيضاً هيكل السلطة الداخلي. ويصبح الحكم من اختصاص مجموعة اجتماعية محدودة، تسعى بنفاذ صبر كبير لحل مسائلها الاجتماعية الخاصة، أكثر من سعيها للإخلاص لرسالتها...

تميزت نقاشات رجالات سلطة الكريملين مع جماهير الشعب بفظاظة

كبيرة كفظاظة الوجهاء. أشار هذا بوضوح أنه بغض النظر عن الانقلاب الأوكتوبري وتأميم وسائل الإنتاج وإنشاء التعاونيات و "تدمير الكولاك كطبقة"، فإن العلاقات بين السكان وعلى الأخص في قمة الهرم السوفيتي لم ترتفع إلى مستوى المفاهيم الاشتراكية فحسب، بل وفي حالات كثيرة بقيت دون مستوى الثقافة الرأسمالية. وتم خلال السنوات الأخيرة القليلة تنفيذ خطوة هائلة إلى الخلف في هذا المجال. وانطلاقاً من ذلك نصل إلى نتيجة تقول: إن المصدر الرئيس لنكسات ونهب روسيا الحقيقي يقبع في التيرميدور السوفيتي وما ناله من استقلالية وعدم خضوع لرقابة الجماهير. أما الجماهير، وعلى الرغم من أنها كانت تعي ذلك، إلا أنها بقيت صامتة دائماً لا تتكلم خشية العقاب... جرَّ التكتل البوليسي في الحزب وراءه بيروقراطية تحكم دون محاسبة وأصبحت مصدراً لجميع اشكال الانحلال والاستهتار.

حسب لينين، يبدأ الانحلال في الدولة، في اليوم الذي يتلو نزع الملكية من مالكيها مباشرة، أي قبل أن يتمكن النظام الجديد مباشرة حل مسائله الاقتصادية والثقافية. وكل نجاح يحصل عليه في حل هذه المسائل، يعني في الوقت نفسه، مرحلة جديدة من مراحل تدمير الدولة وإحلالها في المجتمع الاشتراكي.

... البيروقراطية هي "مراتب متميزة، زعيمة الجيش الدائم" وقابلة الإكراه، الذي لا تقبله الجماهير لأنه بهذا الشكل أو ذاك يكون مسلطاً ضدها.

إن النظرية ليست كمبيالة، يمكن إبرازها في أي لحظة واستبدالها فوراً. إذا أخطأت النظرية يجب إعادة النظر فيها أو إصلاح ما اعتراها من أخطاء. ويجب إماطة اللثام عن تلك القوى الاجتماعية، التى خلقت تناقضاً بين الواقعية السوفيتية والمفاهيم الماركسية. التقليدية، على أية حال، لا يجوز

التسكع في الظلام وتكرار طقوس من العبارات تصب في خانة هيبة الزعماء وتصفع وجه الحقيقة...

وإذا ترجمنا ذلك إلى لغة موضوعية نقول: لا يمكن للمجتمع السوفيتي الحالي التواجد دون حكومة أو دعنا نقول دون بيروقراطية إلى حدٍ ما. لا نقول هذا انطلاقاً من ترسبات الماضي المؤسفة، بل انطلاقاً من دراسة قوى الحاضر والمركزية الفائقة القوة فيه. انحصر سبب وجود دولة سوفيتية على شكل جهاز إكراه وإجبار، في حياة النظام الانتقالي، الذي لا يزال يعج بالتناقضات الاجتماعية ويمتلك سمة مضطربة بشكل مخيف ويهدد دائماً باختراق مجالات الإنتاج... وانحصرت ركيزة القيادة البيروقراطية في عوز المجتمع الدائم لمواد الاستهلاك وما جره خلفه من صراع الجميع ضد الجميع. فعندما تكون المخازن مليئة بالسلع، يستطيع المستهلك الذهاب إليها متى شاء، أما عندما تكون السلع نادرة، عندها يتوجب على المستهلك الوقوف في الطابور. وعندما يكون الطابور طويلاً جداً، يصبح من الضرورة إرسال شرطي للمحافظة على النظام. من هنا انطلقت البيروقراطية السوفيتية وهي تعرف لمن تعطي ومن يجب عليه الانتظار.

كان يجب أن يترافق رفع المستوى الثقافي والمادي منذ البداية بالحد من الامتيازات وتضييقِ لمجال استخدام "الحق البرجوازي"، وفي الوقت نفسه، نبشِ التربة من تحت حارستها البيّروقراطية. أما ما حصل فكان عكس ذلك تماماً - إذ لا يزال يرافق نمو قوى الإنتاج تطور لجميع أشكال اللامساواة والامتيازات والحيازات، ومنها مجتمعة خلقت البيروقراطية، الأمر الذي لم يحدث صدفة.

كان النظام السوفيتي في مرحلته الأولى، بدون شك، أكثر عدلاً ،اقل بيروقراطية عنه الآن. لكنه كان نظام المساواة بين الجياع. لم تسمح المصادر

الطبيعية القليلة للدولة خلق إمكانية بروز شرائح واسعة ذات امتيازات من بين جماهير السكان. كما قتلت المساواة في الأجور أي مصلحة شخصية، وفي الوقت نفسه كانت عائقاً لتطور قوى الإنتاج. كان على الاقتصاد السوفيتي أن يرتفع عن مستوى الفاقة إلى مستوى آخر أعلى، وهذا ما أدى إلى تراكم في الامتيازات. لم يصل الوضع الحالي للإنتاج إلى تلك الدرجة، التي يوفر فيها للجميع ضرورياتهم، إلا أنه أصبح قادراً على تقديم امتيازات هامة للأقلية وتحويل التمييز ليصبح سوطاً يسلط كل يوم على الأكثرية... وهذا لم يكن السبب الوحيد.. فإلى جانب العامل الاقتصادي المؤثر في مرحلة تطبيق الطرق الرأسمالية لدفع أجور العمل، أثر العامل السياسي الممثل بوجه البيروقراطية. وهذا بجوهره أصبح تمييزاً مقصوداً ومحروساً. تمثلت بداية ذلك بجهاز بورجوازي عشعش في دولة العمال. وكان هذا الجهاز يسحب دائماً زبدة خيرات البلاد ويعطيها للأقلية. ومن يوزع الخيرات، لا يظلم نفسه. وخلال الحاجة الاجتماعية، نما جهاز، ترقى وترفع عن مهامه الاجتماعية الضرورية وأصبح عاملاً مستقلاً واتحد مع منابع الأمراض العظيمة التي كانت تسيطر على جسم المجتمع.

بدأ المعنى الاجتماعي السوفيتي للتيرميدور فاقع البروز أمامنا. وتحول الفقر والتخلف الاجتماعي عند الجماهير ليلتحم مرة أخرى بشخصية شريرة لمستبد يحمل عصا طويلة ضخمة بين يديه. وعادت البيروقراطية المدنية من جديد لتهيمن على المجتمع، بدلاً من أن تكون خادمة له. وباتباعها لهذا الطريق وصلت إلى اغتراب اجتماعي واخلاقي عن الجماهير الشعبية ولم تسمح بظهور أية رقابة ليس فقط على تصرفاتها، بل على مداخيلها أيضاً...

لا يستطيع الاقتصاد السوفيتي الحالي توفير الحاجات الأولية للسكان، وفي كل خطوة من خطواته يخلق ويعيد خلق أشكالٍ جديدة من

المضاربات التجارية وطرق للالتماسات وتأمين المصالح الأنانية. ولترسيخ هذه الامتيازات، بدأت البيروقراطية توجه تلفيقات معادية للسوفيتات، لكل فرد يتجرأ حتى ولو بالهمس منتقداً طرق إدارة الإنتاج، التي كانت لا تزال في أطوار ولادتها الأولى. والحديث يدور، لا عن انعكاسات الماضي ولا عن مخلفاته ولا عن ثلج العام الفائت، بل عن التوجهات العظيمة، التي تتوالد باستمرار لتشكل تراكمات ذاتية...

يسمح نمو الإنتاجية في العمل، إذا طبق نظام الأجر المقطوع في المستقبل، برفع كمية السلع المنتجة وخفض الأسعار وبالتالي رفع مستوى حياة السكان. إلا أن هذا هو وجه واحد من العملة، الذي طبق، كما هو معروف، في الرأسمالية في مرحلة صعودها. يجب أخذ الظواهر والأحداث الاجتماعية بعلاقاتها المتبادلة. أما رفع إنتاجية العمل على أساس دورة البضاعة فقط، فإنه يؤدي في الوقت نفسه إلى نمو في التمييز واللامساواة. وعلى إثر ذلك، نلاحظ رفعاً في سوية الحالة المادية لشرائح القادة، يتجاوز بمرات عديدة نظيره عند الجماهير. وإلى جانب ذلك يظهر توزع طبقي اجتماعي جديد.

قسم المجتمع السوفيتي حسب ظروف الحياة اليومية إلى أقلية مؤمنة وذات امتيازات وأكثرية قابعة تحت العوز وامتلك هذا التمييز سمة تباين عميق. فإلى جانب ارتفاع الأسعار الفاحش، سادت السلع ذات النوعية السيئة. وكلما كنت بعيداً عن المركز، أصبح الحصول على السلع الضرورية أكثر صعوبة. ولا نسمي هذا بالسوق السوداء بل ما هو إلا نهب حقيقي مباشر لسلع الاستهلاك، وأخذ هذا الأمر في مختلف الظروف طابعاً عاماً وشاملاً. أما خطط التوزيع التي أعلنوها في اليوم الماضي، فلم تخدم سوى التصحيحات الواجب إدخالها إلى برامج التجارة السوفيتية العديدة...

إذا درسنا الشكاوي وأحصينا جميع الخدمات الطبيعية والمصادر الشرعية وشبه الشرعية، لأصبحت حصة البيروقراطية والارستقراطية السوفيتية من المسارح ودور الراحة والمشافي والمصحات والمنتجعات والمتاحف والنوادي ومؤسسات الرياضة وغيرها وغيرها تجاوز ١٥ - ٢٠٪، أما حصة الغالبية العظمة من السكان فلم تتجاوز ٨٠ - ٨٥٪ .

يشير التاريخ أن البونابرتية لا تنتعش بهيمنة الطرق السرية في استخدام حق الانتخاب. ويعتبر الاستفتاء العام من الطقوس الديمقراطية المناسبة لها. يطرح على المواطنين من وقت إلى آخر هذا السؤال: مع أو ضد الزعيم؟ في الوقت، الذي يشعر فيه المنتخب أن هنالك فوهة مسدس مسددة إلى صدغه. ومع مرور الزمن، وصل تطور نابليون الثالث، الذي يرون فيه قروياً ساذجاً، في مجال التكنولوجيا إلى مستوى عال. والدستور السوفيتي الجديد، الذي وضعته البونابرتية على أساس الاقتراع العام، هو في الحقيقة تاج النظام.

وفي المحصلة، تعتبر البونابرتية السوفيتية ممتنة بظهورها، للتأخير الحاصل في وصول الثورة العالمية. وهذا ما أسرع في ولادة الفاشية في الدول الرأسمالية، الأمر الذي كان غير منتظر للوهلة الأولى. إلا أن الواقع يوصلنا إلى النتيجة التالية: يشبه تحطيم الديمقراطية السوفيتية من قبل البيروقراطية عظيمة القوة، تحطيم الديمقراطية البورجوازية من قبل الفاشية، وهما أمران تعللا بسبب واحد هو إبطاء البروليتاريا العالمية في تنفيذ مهمتها التاريخية. إن الستالينية والفاشية، بغض النظر عن خلافهما العميق في الأسس الاجتماعية، ما هما إلا ظاهرتان متناظرتان. وفي كل منهما سمات كثيرة تشابه الأخرى حتى الموت.

تروتسكي، لا تناسبه الأدوار الثانوية

لمحة عن شخصية تروتسكي

عن تروتسكي، تلك الشخصية الصعبة المتناقضة في الثورة الروسية، يتحدث مراسلنا مع دكتور العلوم التاريخية ن. آ. فاسيتسكي، محرر العديد من الكتب عن التروتسكية.

سؤال ـ نيكولاي الكسندروفيتش، ذكر تروتسكي أنه ولينين لم يفترقا أيام انتفاضة أوكتوبر المسلحة في قصر سمولني. هكذا تحدث في مذكراته، الواردة في كتاب "حياتي"، إذ يقول:

"في المساء المتأخر، وأثناء انتظارنا افتتاح مؤتمر السوفيتات، كنت ولينين نأخذ قسطاً من الراحة جنباً إلى جنب بجوار قاعة المؤتمر... فرش لنا أحدهم حراماً على الأرض، واحضرت لنا إحداهن ـ اعتقد أنها أخت لينين ـ مخدة. لكننا لم نستطع النوم. وبدأنا نتحدث بصوت خافت... سألني لينين عن توزيع مجموعات الحراسة المشتركة من المتطوعين والبحارة والجنود في كل مكان. ما هذه اللوحة العظيمة: عامل يحمل سلاحاً نارياً وبجواره جندي بشعلة ـ كرر هذه العبارة بشعور عميق من

الارتياح. ـ استطعنا في النهاية توحيد العامل والجندي!". إن كتبنا التاريخية تشير إلى شيء آخر. هنالك يشيرون بشكل خاص إلى أن تروتسكي سعى من أجل "تخريب الانتفاضة" وكان "عدواً لأوكتوبر". هل كان الأمر كذلك؟

جواب ـ يعتبر تصوير دور تروتسكي في أحداث أوكتوبر على أنه أسود على الدوام، كما كان يتم سابقاً، ومن قبلي أنا أيضاً، عمل لا تؤيده الحقيقة. فالحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك.

وقف لينين مع التنفيذ الفوري للانتفاضة، ونبع ذلك الموقف من خشيته من إضاعة هذه الفرصة المناسبة. أما تروتسكي فحاول تأجيل الانتفاضة حتى انعقاد المؤتمر الثاني للسوفيتات. وفي الوقت نفسه، أيد اقتراح لينين بوجوب القيام بانتفاضة مسلحة، وذلك في الجلسة التاريخية للجنة المركزية في ١٠ أوكتوبر عام ١٩١٧ .

حاول لينين باستمرار دفع اللجنة المركزية للإسراع بذلك بواسطة رسائله المتواصلة، الموجهة إليها. وطالب باتخاذ قرار نهائي بما يخصها. بعد ذلك، أدعى تروتسكي أن لينين طالب اللجنة المركزية من خلال هذه الرسائل بانتظار إنعقاد مؤتمر السوفيتات ـ وهذا يعتبر خيانة للثورة ـ وحصل هذا الشيء، حينما توجهوا إليه باعتباره رئيس سوفييت بتروغراد وعضو في اللجنة العسكرية الثورية.

استخدمت هذه الواقعة وغيرها من الوقائع المشابهة، من قبل ستالين وبشكل مقصود لتشويه دور تروتسكي في الإعداد للانتفاضة المسلحة. أما الوثائق فتشير إلى شيء آخر: قدم تروتسكي في الرابع والعشرين من اوكتوبر اثناء جلسة اللجنة المركزية عدداً من المقترحات، منها توجيه ممثل عن اللجنة المركزية إلى عمال البريد والبرق، من أجل السيطرة عليهما، ووضع مراقبة

على الحكومة المؤقتة، كما قدم عدداً آخراً من المقترحات، لا تقل أهمية عن تلك.

وليس غريباً أن يعرف أعضاء المؤتمر الثاني للسوفيتات عن قلب الحكومة المؤقتة من قبل تروتسكي بالذات. إذ كان هو، الذي قدم التقرير عن الحكومة السوفيتية، وباقتراحه اتخذ قراراً بتشكيل أول مجلس لمفوضي الشعب برئاسة لينين.

كان تروتسكي في تلك الأيام من الشخصيات البارزة جداً. وهو أحد منظمي عملية القضاء على تمرد كيرنسكي ـ كرانوف، الذي بدأ في نهاية أوكتوبر من عام ١٩١٧ .

القى تروتسكي في ١ (١٤) تشرين الثاني ثانيً خطاب في الجلسة الهامة للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي "البلاشفة" وكان ضد الاقتراح، المقدم من قبل زينوفييف ـ كامنييف الداعي لدعوة ممثلي المناشفة والاشتراكيين الثوريين للاشتراك في مجلس مفوضي الشعب.

قدر لينين عالياً دور تروتسكي. وأعلن في جلسة اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي "البلاشفة" قائلاً: "قال تروتسكي سابقاً، إنه لا يمكن الاتحاد مع الجناح اليميني من (الاشتراكيين الثوريين والمناشفة). وعى تروتسكي هذا، ومنذ ذلك الحين لم يكن هنالك أفضل من هذا البلشفي"*.

على الرغم من أن مواقف لينين وتروتسكي كانت متفقة في أيام ما بعد اوكتوبر، إلا أن هنالك خلافات بقيت بينهما، وعلى الأخص ما تعلق بالمسائل النظرية. إذ إن تروتسكي لم يعترف بأحقية وأهلية البلاشفة ـ قبل

* وردت هذه العبارات في وثائق بروتوكولات اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي " البلاشفة".

أوكتوبر وبعده - في مثل هذه المسائل، التي تحمل طبيعة انتقالية للعملية الثورية في روسيا، وكان يقف مع ضرورة الاتحاد بين البروليتاريا والفلاحين.

ساهم تروتسكي مساهمة فعالة في بناء الاقتصاد الشعبي. هذا ما أشار إليه لينين في أثناء انعقاد المؤتمر الثامن للسوفيتات، وقدر عالياً ما نفذه خلال وجوده في منصب مفوض الشعب للمواصلات. ووصفه بأنه أكثر القادة المميزين، الذين يحاولون بناء مدرستهم في نطاق مسؤولياتهم. كما وثق لينين بتروتسكي في مجال بناء الاقتصاد الشعبي، إلى درجة أنه كان يعطيه دائماً --تصديقاً مسبقاً "كارت بلانش" على ما ينوي تنفيذه، بصفته رئيساً لمجلس مفوضي الشعب، وكان غالباً ما يعطي هذه التصديقات على أوراق موقعة وممهورة ومكتوب عليها بخط لينين العبارة التالية: "أيها الرفاق! انطلاقاً من معرفتي بالطبع المستقيم للرفيق تروتسكي، ولأنني مقتنع إلى درجة مطلقة، بصحة وملائمة وضرورة الأعمال المنفذة من قبله للصالح العام، فأنا أؤيده بشكل تام وكامل".

سؤال ـ كما هو معروف، قام مؤرخو ماضينا القريب بعرض مثل تلك الآراء، المعزولة والجامدة عن الأحداث، التي كانت محشوة في أطر ذلك الزمن القاسي. وعادة ما ينزعج منها المؤرخون ويفصلون الشخصي منها عن الاجتماعي. لكن من المعروف أيضاً أنه يمكن لأحدهم أن يكون ذا عقل كبير، دون أن يصبح شخصية سياسية، ذات وزن كبير.

هل تمتع تروتسكي بمثل هذه المواصفات، وما هي بالتحديد؟ وكيف أثرت على مصيره الذائع الصيت؟

جواب - يقبع في شخصية تروتسكي، كثير من الأسباب المتناقضة، التي أدت إلى تراجيديته الشخصية. عن هذا يتحدث فراره المستمر من المنافي

وخرقه لجميع الطرق والأساليب المتبعة، وعلى سبيل المثال، أحدها، التي نفذها عام ١٩٠٧ بهروبه من المدينة السيبيرية بيريوزوف مع حوذي، كان بحالة نصف سكران وذلك بعد إغرائه بالنقود.

وتحضر إلى ذاكرتي مرحلة أخرى، متعلقة بهيام البحار الكرانشتاتي بافل ديبنكو بالكسندرا كولونتاي. حيث ترك الاثنان منصبيهما وتعانقا وهربا معاً إلى القرم. قيمت اللجنة المركزية هذه الحادثة تقييماً سيئاً، وأصر تروتسكي على إعدامهما. وعلى أثر ذلك حضر البحارة الحاقدون إلى مجلس الشعب لشؤون الحربية والبحرية، وطلبوا توضيحاً لهذا القرار والإصرار عليه، وكانوا قادرين على الانتقام. وحينها نصح مساعدو تروتسكي - الذي كان يشغل آنذاك منصب الرئيس لهذه المفوضية - رئيسهم بالفرار إلا أنه نصرف العكس. إذ خرج لمقابلة البحارة معلناً: هل تطلبون تروتسكي - هو ذا أنا. ذهل البحارة إثر ذلك و... وكفوا عن قتله.

وفي النهاية لنأخذ قطار تروتسكي المشهور، الذي تواجد في أكثر النقاط سخونة في الحرب الأهلية. كان تروتسكي أحد الأوائل ممن قلدوا وسام النجمة الحمراء وكان هذا في ربيع عام ١٩١٩ للدفاع عن بتروغراد من يودنيتش.

سؤال: إلا أنه كان هنالك شيء آخر، فقد دار الحديث عن القساوة، التي تمتع بها تروتسكي. إذ حمل هذا القطار المدرع الخوف والرعب، ليس للأعداء فقط...

جواب - استخدم تروتسكي - في أثناء عمله على فرض النظام وحمايته - اساليب القَشر والاضطهاد. وكثيراً ما كان يقدم على تنفيذ عمليات الإعدام رمياً بالرصاص. وطالب دائماً بإعدام المفوضين، الذين يفرون من المعركة، ونفذ ذلك مراراً.

ومن الوقائع المشهورة، تلك التي تشير إلى أن تروتسكي قضى على انتفاضة الثوريين اليساريين بطرق عنف قاسية في رينسك "على سبيل المثال"، وعن هذا تحدث هو نفسه. ولم يكن هنالك أي مبرر لتلك التصفيات والاضطهادات، التي نفذها مع توخاتشيفسكي أثناء القضاء على تمرد كرانشتات.

تتحدث الصحافة الآن وبشكل مسهب ناقدة قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي "البلاشفة"، التي وقعها يا.م. سفردلوف بخصوص القضاء الإجرامي على قوزاق الدون. كان تروتسكي صاحب هذه المبادرة، إذ قام ومعاصروه من أعضاء مكتب الدون، خادورروفسكي، سيرتوف بالتنفيذ المباشر لذلك في المكان. وبأمر من تروتسكي أغتيل ميرونوف (أثناء سيره على الأقدام في بوتيرك). وميرونوف هو أحد القادة العسكريين العظام في الحرب الأهلية.

سؤال: يتضمن البند الواحد والأربعين لنظام الجيش الأحمر، الذي وزع لإبداء الرأي والمناقشة في عام ١٩٢٢ هذا المقطع: "الرفيق تروتسكي ـ هو قائد ومنظم الجيش الأحمر، يسير الرفيق تروتسكي بالجيش الأحمر إلى النصر على جميع الأعداء لجمهوريتنا السوفيتية". هل عكس مثل هذا المقطع، غير العادي بالنسبة للأنظمة العسكرية، الدور لحقيقي لأول مفوض شعب عسكري فيما يخص تشكيل القطعات العسكرية النظامية؟

جواب ـ يشير هذا إلى صفات الغطرسة والكبرياء، التي اتصف بهما تروتسكي، إلا أنه ليس من الحقيقة بمكان أن نقوم بالانتقاص من دوره في البناء العسكري، انطلاقاً من هذا المقطع فقط.

لعب تروتسكي دوراً رئيساً في تجنيب البلد أضرار الحرب الأهلية وكان

"كالفدائي". وساعده موقفه هذا كثيراً في تحطيم المعارضة العسكرية، التي ظهرت في المؤتمر الثامن، لآرائه بخصوص مركزة الجيش والعمليات الفدائية.

خرج تروتسكي من الحرب الأهلية كأحد القادة المشهورين، إذ انطبعت سمعته هذه في عيون الجماهير، حتى أنهم كانوا يعلقون صوره إلى جانب صور لينين في مكاتب اللجان الحزبية والمؤسسات الحكومية.

سؤال ـ يشير بعض المؤرخين إلى حقيقة مفادها، أن لينين كان يعد تروتسكي ليصبح خليفة له. وتروتسكي، الذي كان مفعماً بحب الذات، كان يعتبر نفسه على سوية واحدة مع لينين، هذا إذا لم يكن أعلى منه مستوى. ففي كتابه "حياتي" أشار إلى أنه في اليوم الثاني لانتصار انتفاضة أوكتوبر وفي جلسة اللجنة المركزية للحزب، اقترح لينين أن يشغل تروتسكي منصب رئيس مجلس مفوضي الشعب...

جواب ـ لم يُعثر على أية وثائق تشير إلى إدعاءات تروتسكي هذه. على الرغم من أن لينين قدم مرتين اقتراحاً بأن يصبح تروتسكي نائبه، الأولى بعد ثورة اوكتوبر، والثانية بعد الحرب الأهلية. وكان لينين يقصد من ذلك، الحفاظ على تروتسكي دائماً وبشكل مستمر تحت بصره، لما عرف فيه من خصائص إيجابية قوية، ومثالب بصفته مفوض الشعب للشؤون العسكرية، وحال لينين مراراً دون تطبيق الكثير من خطواته وقراراته المتسرعة، التي كان يبتعد فيها عن خط الحزب وقراراته في مرحلة بناء الاشتراكية. كما كان عليه الأمر في مرحلة الجدل الحاد بشأن صلح بريست، وأثناء النقاش الحاد حول النقابات، عندما كان تروتسكي يقف مع تحويلها إلى نقابات حكومية.

وإذا حكمنا حسب رسالة لينين، الموجهة إلى المؤتمر، فإننا لا نجد اسمه وارداً في عداد تلك الشخصيات الست، التي اقترحها لتكون خليفة له، لأن مبدأ لينين كان في ترسيخ القيادة الجماعية في البلاد.

سؤال ـ يثير اسم تروتسكي، عند سماعه من قبل ملايين من الشعب السوفيتي أثراً وتصوراً سلبياً. لنحاول الإجابة على مثل هذا السؤال:

سؤال ـ هل كان تروتسكي ثورياً؟

جواب ـ بدون أدنى شك.

سؤال ـ وهل كان ماركسياً؟

جواب ـ حسب الأمثلة الشائعة ـ نعم.

سؤال ـ وأمر آخر. أي عينة من الثوريين هو وأي مذهبي ماركسي؟

تروتسكي ـ حسب وجهة نظري ـ كستالين ينتمي إلى ذلك الصنف من الثوريين إرادويي المذهب، الذين يرغبون العمل لإسعاد البشرية، لكن حسب تصوراتهم عن "السعادة" و "الخير" ومن أجل ذلك، هما على استعداد لتحريك الناس بيد من حديد.

ولهذا يكون الأمر حقيقة أن تروتسكي لم يدخل إلى الحزب "بنية سيئة" كما قال محررو "التاريخ المختصر للحزب الشيوعي لعموم روسيا (البلاشفة)، وأنه قام بذلك بهدف وحيد، هو تخريب الحزب من الداخل.

سؤال ـ لكن تروتسكي وحتى نهاية حياته، نفى إمكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد.

جواب ـ أيعود إليه هذا الإثم فقط؟ إذ كان إلى جانب ذلك من الانصار

المتشددين لتصدير الثورة. وكان يرى أنه في مثل هذا البلد المتخلف كروسيا، يجب التفكير بأمر واحد فقط ـ وهو كيف يمكن الصمود حتى بلوغ الثورة العالمية. لهذا اعتمد وبشدة على الطرق الإدارية والقسرية وعلى القوة. وكان من أنصار خلق "جيوش العمل، الذي سيصبح فيها ذلك القائد الأحمر السابق، "معلماً مهنياً أحمر" و "المدير الأحمر" و "قائد الفوج الأحمر".

إن تسمية تروتسكي "ببطل البيروقراطية السوفيتية"، هي تسمية صحيحة وتعبر عن الحقيقة. إنه لم يعتبر البيروقراطية غريبة عن الاشتراكية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، واعتبرها عنصراً رئيساً وضرورياً لإدارة الاقتصاد الوطني. كما أنه كان نصيراً متشدداً لتعميم التقشف، وتقليص احتياجات الجماهير الواسعة.

سؤال ـ بمناسبة الحديث عن التقشف، تقول إن تروتسكي في حياته الشخصية كان بعيداً عنها جداً....

جواب ـ نعم، أعار تروتسكي أهمية كبيرة لمظهره الخارجي، لثيابه بشكل خاص. كان يرتدي الملابس الأنيقة. وتميز بمظهر خارجي جميل: سترة ضيقة، شعر أسود، عيون زرقاء، أنف نسري، حتى أن هذا كان يثير اهتمام العديد من النساء.

أشعرت إحداهن وتدعى لا ريسا ريسنيور تروتسكي بقصيدة سمتها "الأنيق"، أثناء مكوثها مدة قصيرة، مضيفة في قطاره المدرع.

اتصف تروتسكي ببديهة سياسية حادة، إذ كان أول من أشار عام ١٩٢٣ إلى التناقض المتزايد، بين الجماهير وأجهزة الحزب. وانتقد في خطبه الظواهر المثقفاتية، على الرغم من أنه لم يكن غريباً عنها.

أقدم تروتسكي بعد ثورة اوكتوبر على إعادة طباعة جميع أعماله التي احتوت على مقدمات لم يعترف فيها باخطائه الرئيسة (نظريته حول الثورة الدائمة). وأثناء مرض لينين أبدى نشاطاً كبيراً، ساعياً لتولي المنصب القيادي الأول في الحزب.

أصبح تروتسكي العضو الأول في المكتب السياسي، وأطلق أثناء حياته اسمه على مدن، مصانع، مشاعات وشوارع. وظهر لأول مرة على خارطتنا اسمان لتروتسكي لمدينتين إحداهما (بالقرب بيتروغراد) وكانت تدعى غاتشين، والأخرى في أوكرانيا وكانت تدعى يوزوفك.

سؤال ـ لماذا ومع كل ذلك، أصبح تروتسكي وليس ستالين خارج البلاد؟ وما هي الأسباب، التي جعلت مفوض الشعب العسكري يخسر معركته أمام ستالين في الصراع على السلطة؟

جواب ـ خسر تروتسكي معركته أمام ستالين، لما تمتع به من حب للذات وكبرياء، وقناعته بحتمية خلافته للينين، وهذا كله لم يمكنه من رؤية مكر ستالين وسياسته المحنكة والمحسوبة جيداً.

كما أن رسالة لينين إلى المؤتمر، لم تنبه تروتسكي. حيث كما هو معروف اعتمد حينها لينين بشكل رئيس على علاقات تروتسكي بستالين لخلق توازن في اللجنة المركزية. واستمر تروتسكي، الذي كان مفوضاً للشؤون العسكرية يعتبر ستالين "عبقرية متوسطة في الحزب" ولذلك أقدم على إهماله.

ولاحقاً أقحمته طباعه الخاصة في هذا الصراع. إلا أن طبعه كان انفجارياً، ولم يكن هنالك من يجاريه في إغضاب الناس. كما وقفت صحته عائقاً أمام نضاله السياسي. إذ كان هذا المفوض العسكري يعاني من

مرض عضال، الأمر الذي كان ينفيه. وقال مبرراً ذلك أنه ورث عن أمه عادة الإغماءات المتكررة. إلا أن البروفسور الدكتور ق. آ. زيف، الذي كان على معرفة جيدة بأسرة تروتسكي، كتب في مذكراته أن ليون دافيد وفتش تروتسكي عانى من هذا المرض. وقبل عدة أسابيع من موت لينين أصيب تروتسكي بأزمة مرضية حادة، سافر على إثرها إلى القفقاز للمعالجة وللراحة حسب استشارة الطبيب. وكان أن لازم تروتسكي هنالك الفراش بسبب مرضه.

في الخارج وجواباً على سؤال وجه لتروتسكي: لماذا أصبح هو المطرود وليس ستالين، على الرغم من أنه كان مفوضاً للشعب للشؤون العسكرية، وكيف ترك ستالين ينفذ دسائسه في خرق نظام الحزب الداخلي؟ لم يتقدم تروتسكي بجواب واضح على هذا السؤال.

إلا أن تروتسكي كان قد استخدم الطرق نفسها في مجرى صراعه مع ستالين. إذ كانا من طينة واحدة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تروتسكي كان شامخاً في هذا الصراع، فنادراً ما كان يجامل ستالين.

سلك تروتسكي سلوكاً مختلفاً في مختلف مراحل حياته. كان تروتسكي ذلك الأوكتوبري، الذي عمل بكامل طاقته من أجل ثورة اوكتوبر. وكان رجل الحرب الأهلية ورجل بناء الاقتصاد الوطني، لقد عرف لينين كيف يستخدم طاقاته ومقدراته التنظيمية لصالح الاشتراكية. وإلى جانب ذلك يجب الاشارة إلى أنه كان "مكسيكياً"، وهو ذلك، الذي دعا ومن شدة كرهه لستالين، ومن المكسيك بعماء سياسي إلى تشكيل تنظيم سري في الاتحاد السوفيتي لحزب جديد، وإلى حرب أهلية.

من الضروري اليوم التبصر والتحليل بمختلف مراحل حياة تروتسكي. بذلك القدر، الذي نكون فيه بعيدين عن مؤرخي الكتاب الستاليني "التاريخ المختصر" ورؤية العالم من خلال نظارات سوداء فقط. وبهذا نستطيع أن نتعمق في فهم عظمة البلاشفة ـ منظمي ثورة أوكتوبر،الذين استطاعوا في لحظة ما الاستيلاء على السلطة، واستخدموا أكثر الأفكار الاشتراكية عظمة وقرباً منهم.

تروتسكي ـ مارد وشيطان الثورة

"هنالك مستند يجعلنا نعتبر أن تروتسكي في سنوات نشاطه الحزبي، بين عامي (١٩١٧ ـ ١٩٢٤)، لم يكن عدواً للثورة أو للاشتراكية، لكنه كان قد أصبح عدواً لستالين.

لا يجوز أن لا نعطي تروتسكي حقه: إنه لم ينكسر، كالآخرين، أمام ديكتاتورية ستالين. وبقي يحترم لينين حتى آخر لحظة من حياته. أما ستالين فكان يحب نفسه في الثورة، أكثر من حبه للثورة نفسها. ولم تنبع تراجيدية تروتسكي الشخصية من صراعه ضد الستالينية، بقدر ما نبعت من صراعه مع ستالين على السلطة".

هذا هو رأي مدير معهد التأريخ العسكري، الجنرال ديمتري فولكوغونوف في كتابه "النصر والتراجيديا"، الذي بحث فيه العلاقات المتبادلة بين ستالين وتروتسكي. وسيصدر هذا الكتاب قريباً.

ومجلتنا تقدم هنا مقتطفات منه.

وصل ستالين في ٢١ آب عام ١٩٤٠ إلى مكتبه حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً. لم يبدأ مساعده كالعادة بتقديم تقريره اليومي عن الأعمال، وبصمت وهو يبتسم نصف ابتسامة، سحب برقية تقول: "أصيب

تروتسكي بجرح مميت، ومن المحتمل أن يكون قد قتل. سنرسل لاحقاً التفاصيل".

طال انتظار مثل هذا الخبر، وفي الوقت نفسه كان غير متوقع. "المبارزة بين زعيمين"، كما عبر عن ذلك لينين في وصيته السياسية في "رسالة إلى المؤتمر"، وبالاضافة إلى ذلك قدم لأعضاء المؤتمر، الخصال السيئة، التي يتمتع بها كل منهما، وهكذا انتهت المبارزة، التي استمرت قرابة عشرين عاماً.

تم التأكد من صحة هذا الخبر، الوارد من وراء المحيطات. كتبت صحيفة "البرافدا" في الرابع والعشرين من آب مقالتها الافتتاحية تحت عنوان "موت الجاسوس الدولي"، التي جاء فيها: "ذهب إلى اللحد، ذلك الإنسان، الذي تنظر إليه شغيلة العالم أجمع بكل ازدراء واحتقار.. وبموته تم التخلص من جميع الإرهابيين، الذين دربهم على القتل من خلف الكواليس، كما علمهم الخيانة والحقد على الطبقة العاملة، وعلى بلاد السوفيتات...".

قرأ ستالين هذه المقالة بتمعن شديد. ووتوت قائلاً: انحدروا جميعاً في طريق العمالة. لأنه وببساطة كان يعتبر نفسه مناضلاً ضدها كل هذه السنين؟ وبعدها، لماذا أصرَّ على طرح هذا السؤال: من القاتل؟ كما لو أن الاغتيال، كان قد دبر في موسكو. ونحن نعرف الآن عن ذلك وبشكل مؤكد... كيف يمكن تمويه مثل هذه العبارات، التي انطلقت بشكل عفوي وكانت في غير مكانها...

اسقط ستالين الصحيفة من بين يديه وأخذ يتذكر لقاءاته الأولى بتروتسكي في لندن وفيينا، قبل ثورة عام ١٩١٧ ....

لم تجر آنذاك لقاءات خاصة: - إذ لم تلحظ شخصية تروتسكي اللامعة، المحاطة بالتلاميذ، ذلك الإنسان الصامت، الذي وصل من القفقاز، ذي

العينين الجاحظتين كعيني الحرباء.

كان يجب على تروتسكي أن يتوقع أنه وبعد عشرة سنوات سيتسنى له أن يكتب عن هذا الدخيل الصامت: "عبرت قضية تفخيم ستالين من خلف ستائر سياسية، لا يمكن توقع اختراقها. وفجأة وفي لحظة ما تمكنت شخصيته أن تخترق جدار الكريملين بأسلحة سلطوية قوية...". وسوف تبقى ولنهاية أيام تروتسكي تعذبه حقيقة: ـ مساعدته لستالين على "العبور من خلال جدار الكريملين".

لماذا تذكر ستالين الآن بداية تاريخ علاقاته مع تروتسكي؟ وعى ستالين حقيقة مفادها، أنه بموت عدوه الشخصي سوف تنتهي مرحلة من أهم مراحل صراعاته الدراماتيكية، التي بدأت ، منذ مطلع هذا القرن. عندما أسس تروتسكي مكتب الحزب المنشفي في جنيف*، ومع غيره من المناشفة، عندما نعتوا لينين "بالديكتاتور" و "بمغتصب السلطة"، هاجم تروتسكي أثناءها الحزب البلشفي، مرة من اليمين وأخرى من اليسار. وليست بالمصادفة أن يقول لينين، في مجرى تقييمه لهذه المحاولات في شباط عام ١٩١٧ ، "هذا هو تروتسكي! دائماً محب لنفسه ـ يراوغ، يحتال، يتخذ موقف اليسار، يساعد اليمين، عندما يكون ذلك مفيداً..."، لكن تروتسكي وبانحيازه للينين عشية ثورة أوكتوبر، استطاع (وهذا ما كان يحز في نفس ستالين) أن يكون أقرب من ستالين إلى لينين، في سنوات الثورة والحرب الأهلية، إذ احتل تروتسكي في هذه السنوات المرتبة الثانية، بعد لينين من حيث شعبيته.

"سياسي متلاعب، مشروع ديكتاتور لم يتحقق" ـ هكذا كان يفكر

المنشفية: تيار سياسي في الحركة الاشتراكية الديمقراطية، تشكل عام ١٩٠٣ بعد أن اصبح أعداء المباديء اللينينية في بناء الحزب اقلية في المؤتمر الثاني للحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي، وذلك أثناء انتخابات الهيئات القيادية للحزب – المحرر.

ستالين عن تروتسكي. وإلى الآن لا يزال يتذكر، كيف أدهشه تصرف تروتسكي - كمفوض شعب لشؤون الدفاع*. حيث كان يتنقل أثناء الحرب الأهلية بين الجبهات بقطار خاص وبمرافقة واحد أو اثنين من القطارات المدرعة، التي كانت تعج بالمساعدين الشباب، الذين كانوا يحيطون به "كقائد بروليتاري". وكان ستالين يسأم، حينما كان تروتسكي، وبعد الثورة مباشرة يحيط شخصه بجهاز أركان كبير من المساعدين والسكرتاريا، الذي كان يساعده في تجميع أرشيف كبير، وفي جمع المعلومات ووضع الشعارات والمواد لخطابات لا تنتهي. من الصعوبة التصديق، أن تروتسكي وحتى عام ١٩٢٧ كان قد أصدر المجلد الواحد والعشرين من أعماله الكاملة. وأشاع من أحاط به أنه هو بالذات وليس لينين، يعتبر القائد الفعلي والمنظم لانتفاضة أوكتوبر. حتى أن أقوالهم وصلت إلى درجة، أن تروتسكي أنشأ في ١٦ أوكتوبر اللجنة الثورية العسكرية، التي رفضت تنفيذ أوامر كيرنسكي، القاضية بوجوب مغادرة القوات الموجودة في بتروغراد وضواحيها إلى الجبهة، ولم يكن هذا سوى انتفاضة مسلحة "هادئة"، أما "انتفاضة ٢٥ أوكتوبر فكانت ذات طابع تكميلي فحسب".

بعد وفاة لينين، وعندما أصبح الصراع مفتوحاً بين هذين الزعيمين، أدار ستالين صراعه هذا تحت راية الدفاع عن لينين، الذي سماه تروتسكي في بداية القرن بـ "ماكسمليان لينين"، مشيراً بذلك إلى الخصال الديكتاتورية، التي كان يتصف بها روبسبير.

يؤنب ستالين تروتسكي، بأنه ادعى لنفسه أعمالاً مجيدة لم يقم بها. فعلى سبيل المثال وأثناء الجدل، الذي دار حول موضوع "التروتسكية أم اللينينية" تحدث ستالين قائلاً: "يعرف الحزب لينين كثوري متفان. لكنه

* مفوض الشعب للشؤون الحربية والبحرية - المحرر.

يعرف أيضاً أن لينين كان حذراً، ولم يحب تلك الأيدي، التي كانت تفوح منها رائحة الإرهاب، بما فيها الرفيق تروتسكي نفسه. والرفيق تروتسكي يتطرق إلى هذا الموضوع في كتابه "عن لينين". لكن نستنتج ومن توصيفه للينين، أنه لا ينكر استخدام الإرهاب في كل فرصة مناسبة".

توصل تروتسكي أثناء محاولته إثبات ذلك، إلى الكراسة القديمة "مهماتنا السياسية"، التي أصدرها لينين. لكن هذه الكراسة تتحدث عن المنشفي ب. اكسيلرود، عدو لينين.

أخذ ستالين ينطق بشكل احتفالي وهو في زاوية مكتبه العبارة التالية: "إلى عزيزي المعلم بافل اكسيلرود". لكن وعلى أية حال، انهى ستالين كلامه الخافت الاحتفالي هذا بعبارة: اذهب ودونما رجعة يا "عزيزي المعلم!"، اذهب دون رجعة!".

شعر تروتسكي المعلم المغامر بأن هذا الخطاب سوف يكون بداية لنهايته الشخصية. ولاحقاً وفي المكسيك، كتب قائلاً: أنه وبعد خطاب ستالين هذا، شعر جسدياً كأن رأسه يقع فوق سكين المقصلة.

إستخدم تروتسكي في صراعه ضد ستالين، أفكار الديمقراطية الاشتراكية، على الرغم من أنه لم يكن قريباً منها.

ليس ستالين فحسب، بل جميع الحزبيين يتذكرون، بأنه عندما نشب الصراع حول النيب، أعلن تروتسكي: "لا تستطيع الطبقة العاملة الاقتراب من الاشتراكية، بدون تقديم ضحايا كثيرة، مستخدمة كامل قوتها، مقدمة دمها وأعصابها". يعني هذا رغبة بالقول بأنه دون "جيوش الشغيلة" و"عسكرة" العمل و"التقشف الكامل" ستكون الثورة مخاطرة ولا تستطيع أن تخرج من يد هيمنة الضرورة.

"وإذا كان صحيحاً بأن العمل القسري ليس إنتاجياً على الدوام وفي جميع الظروف، فعندها سوف يذهب كل ما نبنيه هباءً. ولا يوجد هنالك أي طريق آخر يؤدي إلى الاشتراكية، غير الطريق السلطوي في توزيع القوى ووسائل الإنتاج في البلاد، وبغير التوزيع المركزي للقوى العاملة حسب الخطة الحكومية العامة، بغير ذلك لا يمكن أن نحصل إلا على فشل للطبقة العاملة وهيمنة القصتدة*** الفوضوية، وسيكون هذا نتيجة لمحاولات المزاوجة بين الحرية البرجوازية في العمل مع وسائط التشريك البروليتاري في الإنتاج؟... من الضروري، مرة وإلى الأبد، إقناع الذات، بأن مبدأ المحاسبة على العمل، هو مبدأ راديكالي إلى درجة عالية ولا يمكن استبداله بمبدأ الاستخدام المائع "المتموج"، ويجب أن يكون رديفاً لأسلوبنا المتبع في تشريك ملكية وسائل الإنتاج وإحلالها مكان الملكية الرأسمالية".

دعا تروتسكي إلى تحويل المناطق الإنتاجية إلى فرق عسكرية، وتوحيد المناطق العسكرية مع الوحدات الإنتاجية، وإرسال "الوحدات العسكرية الضاربة، إلى المواقع الأكثر أهمية، لرفع إنتاجية العمل، بما تقدم من مثال وبما تقوم به من اضطهاد...".

وحقيقة الأمر، أنه راق لستالين استخدام مثل هذه الأساليب، لكي يجعل الكتل البشرية جاهزة وعلى الدوام وبشكل طوعي "لتقديم دمها وأعصابها". ويمكن أن يكون ولهذا السبب بالذات، كتب تروتسكي مرة عن "التقليد" الستاليني ليس "ستالين، سوى الوسيط الأعظم في حزبنا... ويعيش التكتل الستاليني على فتات وشظايا أفكار المعارضة وإنه بذاته عديم المبادرة والإبداع".

*** القصتدة: جعل الشيء اقتصادياً – المترجم.

يوم موت العدو...يوم الذكريات... خرج ستالين من خلف مكتبه وأخذ يتمشى في الغرفة، تناول مجموعة من أعداد المجلة، التي كان يصدرها تروتسكي "صوت المعارضة" وانتقى العدد الخامس لعام ١٩٣٨ ثم فتح على صفحة ما من صفحاتها وأظهر حزناً أثناء قراءته لافتتاحية تروتسكي فيها. قليل من الرجال يستطيعون العودة إلى السطور، التي يجدون فيها تأنيباً وتقريعاً لهم، وستالين لم يكن من هؤلاء، بل أقدم على قراءتها ليحصل على شحنة جديدة من الحقد والكراهية. "ماذا، أما يزال ستالينن يهزأ من خلف الكواليس؟ تسير الفاشية من نصر إلى آخر، وتجدر مساعدة رئيسية ومستعجلة من الستالينية..هنالك اخطار عسكرية مخيفة تقرع باب الاتحاد السوفيتي، وستالين اختار مثل هذه اللحظة ليقوم بتدمير الجيش...لكننا سندرك: ذلك الزمن، حيث سيقوم التاريخ بمحاكمته...". هز ستالين هذه المجلة الدورية قائلاً: "هل هنالك من يصدق مثل هذا الهراء والهذيان؟!".

وتذكر برضى، ما كان عليه خطاب تروتسكي الأخير في جلسة أوكتوبر عام ١٩٢٧ ، كشخصية سياسية حزبية. إذ لم يرفع تروتسكي رأسه طوال إلقائه هذا الخطاب، وقرأ نصه بتسرع ظاهر، محاولاً إيقاف الضجيج الذي ارتفع في القاعة. استمعوا إليه بشكل سيء، وقاطعوه بكلمات نابية مثل "كثير الكلام"، "هراء"، "افتراء"... أسرع تروتسكي بإلقاء ما كتبه: عن إضعاف البدايات الثورية في الحزب، تضخيم الأجهزة، خلق ،طبقة السلطة، التي تسير بالبلاد في طريق تدمير إعادة الولادة... ولاحقاً كرر هذه الأفكار في أول عدد من المجلة الألمانية "راية الشيوعية"**** لعام ١٩٢٩: "إن ما يسود الآن في الاتحاد السوفيتي، ليس سوى ديكتاتورية البيروقراطية الحزبية السوفيتية، التي تعتبر نفسها فوق النظام الطبقي...".

**** راية الشيوعية- Fahne des communismus

كانت محاولة القيام بمظاهرة لمؤيدي تروتسكي بمناسبة الذكرى العاشرة لثورة أوكتوبر، دعوة منه وهو خارج الحزب. غير أن ستالين اتخذ حينها تدابير مناسبة. إذ أقدم البوليس على إطلاق النار على تجمعات التروتسكيين، الذين حاولوا رفع صور تروتسكي. وعندما حاول تروتسكي شخصياً التوجه إلى صفوف المتظاهرين، المتجهين إلى الساحة الحمراء، رُميَّ بالحجارة، الشيء، الذي سبب تحطيماً لزجاج نوافذ السيارة، التي أقلته. وعندها بالذات فهم تروتسكي وبشكل نهائي: أن ستالين يرسله إلى الأقنية المهملة من التاريخ.

حاول مؤيدو تروتسكي أثناء إبعاده إلى آلماآتا في البداية وإلى آسيا الوسطى ثانية القيام بنوع من الاحتجاج. لكن ستالين، الذي قبع في الكريملين، كان يراقب الأحداث عن كثب. وأمر بشكل مختصر: "عدم التسامح!" "لا، تنازل!"، "بتر مساعديه!" بسرعة ودون تردد! وقام بعد عدد من السنين بتوجيه الحديث واللوم إلى مساعديه:

ـ عندها ارتكبنا خطيئتين.

١ ـ الأولى، كان علينا أن لا نسمح له بالسفر خارج البلاد بأي شكل من الأشكال.

٢ ـ والثانية، من سمح له بإصطحاب تلك الكمية الهائلة من الأوراق؟

بينما كان ستالين يركز سلطاته. أخذ تروتسكي يجول العالم. من جزيرة بربنتسيف في بحر مرمرة، إلى فرنسا، إلى النرويج وأخيراً حط في المكسيك.

قام تروتسكي وهو مقيم في النرويج بكتابة كتابه المشهور "الثورة المغدورة" وذلك في عام ١٩٣٦ . وذكر فيه قائلاً: إن الرجال، الذين يحيطون بستالين لا يشاركونه سياساته. (كان تروتسكي واثقاً، بأن ستالين

لا يستطيع الصمود طويلاً. واعتقد أن سلبياته الثقافية وعدم أهليته، وفجاجته، هي أمور واضحة للعيان، وسوف تولد معارضة أخرى. وهذا ما أخطأ فيه تروتسكي من جديد). ويفضح نبوءته عن فكرة مفادها، أنه إذا أقدمت ألمانيا وحاربت الاتحاد السوفيتي، سيلاقي ستالين الهزيمة.

حصل ستالين على نسخة من هذا الكتاب، كان قد أمر بترجمتها.

"طقت مرارة" ستالين، بعد قراءته لتلك الصفحات. وعندها نضج عنده نوعان من القرارات، التي أسف لعدم تنفيذها سابقاً وهي:

- إبعاد تروتسكي عن الحلبة السياسية.

- التصفية النهائية والحاسمة لجميع من يتوقع أن يكونوا من أعداء سلطته المطلقة.

أثناء ذلك، برقت في ذاكرة ستالين "قضية بلومكين". وكان فحواها أن يا . ق. (ثوري يساري) أقدم في عام ١٩١٨ على قتل سفير ألمانيا آنذاك في روسيا فيلهيلم ميرباخ، بهدف خرق اتفاقية السلام مع ألمانيا وكان هذا العمل إشارة لمجموعة الثوريين اليساريين من أجل مباشرة العمل ضد السلطة السوفيتية. أحبطت هذه المؤامرة، واعتقل بلومكين وحكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص. وعندها تدخل تروتسكي وبدل الحكم إلى "كفارة القتال في معارك الدفاع عن الثورة".

خدم بلومكين طويلاً في أركانات تروتسكي ومن ثم انتقل للعمل في هيئات الإدارة السياسية في الدولة.

وفي عام ١٩٢٩ ، وأثناء عودة بلومكين من الهند إلى الاتحاد السوفيتي عبر مدينة كانستينتابول، عرج على جزيرة برنتسيف وقابل تروتسكي.

وعندما عاد بلومكين إلى الوطن تم اعتقاله: إما أنهم راقبوه في تركيا، عندما ركب الباخرة المبحرة إلى الجزيرة، أو أنه كان غير حذر وثرثر مع أصحابه بما قام به. وفي موسكو تمّ إعدام بلومكين بعد محاكمة قصيرة. وأثناء التنفيذ ابتسم منفذ الإعدام قائلاً: لم يكن المصير مناسباً، للمرة الثانية.

لم يخلد بال ستالين للراحة، منذ تلك اللحظة، التي رأى فيها كتاب تروتسكي "الثورة المغدورة" النور، وكان مستنفراً على الدوام: - وظن أنه قد يكون هنالك العديد من صنوِ بلومكين، الذين يحصلون على تعليمات من تروتسكي ويقبعون بالقرب منه؟ كيف قتلوا ميرباخ.. كم كان عددهم؟ من هم؟ كيف استطاع أن يمد أصابعه بعيداً، هذا اللعين؟ وكان أن هيمن الخوف من تروتسكي على كاملِ مساحة عقل ستالين... وأصبح دفاعه عن ذاته وصراعه مع تروتسكي دافعاً ومبرراً معقولين للتخلص من أية شخصية، لم تكن تشاطره الرأي، أو تبدي أي تذمر من سياساته.

من هنا، انطلقت ما سميت بالمحاكمات "التروتسكية" لشخصيات حزبية وحكومية مشهورة.

في الطرف الآخر، ورداً على ذلك، أصدر تروتسكي عام ١٩٣٧ كتاباً عنوانه "جرائم الستالينية"، وفي عام ١٩٣٨ ، عقد مؤتمراً صحفياً، أعلن فيه بانه بدأ العمل في كتاب عنوانه "ستالين". هل كان تروتسكي يعي بأنه يسير إلى الموت بقدميه؟ من الواضح، أن الجواب على هذا السؤال كان إيجابياً، إذ سمى إحدى نشراته في تلك الفترة "اخاطر بحياتي".

امتلكت التنظيمات التروتسكية في كويكان، الواقعة في المكسيك، داراً كبيرة. حُولَتْ هذه الدار إلى قلعة حقيقية، محاطة بأسوار عالية، واحتوت برجاً للمراقبة. كانت بناية ذات أبواب حديدية ونظام تنبيه كهربائي حمل حراسها الأسلحة النارية. كان يحمي تروتسكي بشكل دائم عشرات

السياسيينن والعناصر الخاصة. واشترى سترة واقية من الرصاص، كان يرتديها خارج أسوار هذه القلعة.

تعرض تروتسكي لمحاولتي اغتيال. الأولى ـ في أيار عام ١٩٤٠ ، حيث اقدمت في الصباح الباكر جماعة ارتدت زياً بوليسياً على نزع أسلحة الحراسة وهجمت على الغرفة، التي كان ينام فيها تروتسكي مع زوجته ناتاليا سيدوفا وابنهما، لكن بعض الطلقات أصابت زاوية مؤخرة السرير، وعشرات غيرها سقطت في المكان الذي كانوا يجلسون فيه قبل ذلك بقليل. وفشل هذا الهجوم والتصويب الشجاع من خارج الغرفة لم يحقق هدفه المنشود، إذ لم يصب أياً من تروتسكي أو زوجته أو إبنهما. لكنهم بعد ذلك، أصبحوا يعتبرون أن كل يوم آخر يعيشونه، هدية من القدر. وتأكدوا بأن هنالك عملية إصطياد جادة توجه ضدهم.

سأل البوليس المكسيكي، الذي أرسل للتحري عن عملية الاغتيال:

ـ هل يشك السيد تروتسكي بأحدٍ فيما يخص محاولة الاغتيال؟

ـ طبعاً ـ أجاب تروتسكي ـ إن مُخرج هذا الهجوم ـ هو يوسف ستالين...

إلا أن القاتل المستقبلي، كان قابعاً بالقرب من تروتسكي. سمح له تروتسكي منذ عام ١٩٣٩ بالدخول إلى بيته تحت اسم جاك مارنار، كصديق للتروتسكية الأمريكية سيلفا اهيلوف،، إحدى سكرتيرات تروتسكي. عمل برنار في مجال تجارة السينما. وكان يعرف إلى جانب سيلفا، الأصدقاء المقربين من تروتسكي من أمثال الفرد ومارغريتا روسميرام، مما زاد في إمكانية الثقة به والوصول إلى هذا البناء المحصن والمحروس جيداً والواقع في كابكان.

ذات مرة، أخذ المدعو جاك برنار يتحدث عن سياسة تروتسكي ووصفها بالسياسة الراقية، ووصف مواقفه بالصحيحة، وشخصيته بالقوية.

إلا أنه، وكما تتذكر زوجة تروتسكي، لم يكن زوجها مطمئناً حتى النهاية لهذا الشخص، إذ قال مرة إنه يشك في أنه قد يكون رجل أعمال فاشيستي.

وفي منتصف آب من عام ١٩٤٠ طلب جيكسون (جاك برنار) من تروتسكي أن ينقح مقالة له. قدم تروتسكي عدداً من الملاحظات على هذه المقالة وفي مساء العشرين من آب وكان اليوم ثلاثاء، دخل جيكسون حاملاً مقالته المنقحة إلى مكتب تروتسكي الذي كان يجلس خلف الطاولة، ويعمل على كتاب "ستالين"، كما أشار إلى ذلك جيكسون ـ ذو الاسم الحقيقي ميركادير ـ "دخل ووضع المعطف على الكرسي، وسحب بشكل غير ملحوظ من تحته سلاحاً حاداً، ووجهه إلى رأس تروتسكي، الذي كان يقرأ، وضربه بكل ما أعطي من قوة". أصدرت الضحية حسب كلمات جيكسون اثناء المحاكمة ـ "عويلاً مخيفاً خارقاً وحزيناً، ذلك الذي سوف يبقى يئز في سمعي إلى آخر يوم في حياتي". بقي تروتسكي ينازع عدداً من الأيام.

غنَّت عائلة تروتسكي وأصدقائه هذا الحزن حتى النهاية، زوجته الأولى الكسندرا شاكا لوفسكايا وابنتاه، زينا يدا ونينا، وزوجاهما، اللذان كانا من أقرب المقربين لتروتسكي. وبما أنهم كانوا ينتمون إلى "النوع العادي" فقد كان عليهم أن يدفعوا ثمن ذلك وهو ـ الموت.

بدأت الزوجة الثانية لتروتسكي ناتاليا سيدوفا حياتها كثورية، رافقت زوجها على الدوام، وقاسمته صعوده في سنوات الثورة والحرب الأهلية، وكل خلجات حياته. حصل تروتسكي من الزواج الثاني على ابنين،

لأكبر، ليف، كان على الدوام بجوار والده، وأصبح من النشطاء التروتسكيين، ومات في ظروف غامضة في باريس، بعد طرد أبيه من الاتحاد السوفيتي، أما الأصغر فهو سيرغي، الذي غادر منزل والده، عندما كان التروتسكيون لا يزالون في الكريملين، معلناً بأنه "عدو للسياسة"، وانغمس في دراسة العلم، ورفض أن يغادر مع والده إلى الخارج، ولكن لأنه من "ابناء تروتسكي" فقد تمت تصفيته جسدياً. وفي كانون الثاني من عام ١٩٣٧ ، ظهرت في البرافدا مقالة تقول "حاول سيرغي سيدوف، ابن تروتسكي دس السم للعمال". وبعدها نفي إلى كراسنا يارسك في سيبريا وأعلن أنه من "اعداء الشعب".

عايشت ناتاليا سيدوف زوجها قرابة الثلاثين عاماً وماتت في العام، الذي مات فيه ستالين. لم يسلم من أقارب تروتسكي إلا البعيدون وهم يعيشون الآن في موسكو. وقد تسنى لي الالتقاء بهم وهم يلقبون، لأسباب نعرفها، بأسماء عائلات أخرى.

... سمى تروتسكي نفسه "مواطناً عالمياً بدون جواز ولا فيزا". وتخصه كذلك هذه المقولة: "نقلوا لينين في عربة مختومة خلال ألمانيا. أما أنا، فنقلوني بالقوة على مركب (اليتش) إلى كاستا نيتنابول. لهذا فإنني لا اعتبر إبعادي هو الكلمة الأخيرة للتاريخ". حاول تروتسكي لعب دور "الثاني" بعد لينين "الزعيم"، لكنه لم يأخذ بعين الاعتبار أن التاريخ يتحكم بمعبده، الذي يحتوي في بعض الأحيان على شياطين ـ آلهة تتحول إلى أرواح شريرة.

أنهى ستالين تدخينه للبايب (الغليون). مر عام ١٩٤٠ ، وبعد سنة أخرى بدأت الحرب العالمية الثانية. وعاد ستالين ثانية ليهتم بالاتحاد السوفيتي، بعد أن انتهى من حربه الأولى ضد تروتسكي.

عن الشخصيات، التي أحاطت بستالين

نورد هنا بعض المقتطفات من كتاب تروتسكي "ستالين"، التي يتحدث فيها عمن أحاط بستالين من الشخصيات السياسية وعن رأيه بهم.

من ساهم في وصول ستالين إلى السلطة.

لم يكن ستالين قادراً على الوصول إلى السلطة،، دون مبادرة زينوفييف[1]، الذي أراد استغلال الجدل الحاد، حول اتحادات النقابات المهنية في شتاء ١٩٢٠ /١٩٢١[2]، لإدارة الصراع المستقبلي ضدي، لقد ظهر ستالين الأكثر ملائمة للعمل معه خلف الكواليس.

كان ستالين[3] في هذه الأثناء يتحدث إلى ممثلي التنظيمات القومية، التي اعترفت بسلطة مجلس مفوضي الشعب وأبدت رغبة في إقامة علاقات طبيعية معه. إلا أن أغلبية هذه التنظيمات لم تكن سوى تنظيمات تخريبية وضارة،، عملت ليل نهار وبدون كلل أو ملل للحصول على أكثر

---

١ ـ اقترح ترشيح ستالين من قبل كامينيف، على الرغم من أن هذا الأمر كان قد نوقش مع زينوفييف.

٢ ـ اعتبر تروتسكي حينها زعيماً لهذا الجدل، الذي دار حول النقابات، ولم يكن له صفة عابرة، بل كان له أهمية كبيرة، إذ كان يهدف إلى نقل الحزب والبلاد من الاقتصاد العسكري إلى الاقتصاد السلمي.

٣ ـ كان ستالين يشغل منصب مفوض الشعب لشؤون القوميات.

المكتسبات الممكنة من النظام الجديد. أما المحادثات المتعلقة بالمسلمين وبالروس، فقد أقامها حيث هم. كان ستالين يدير أحاديثه هذه بطريقة خبيثة ومستنكرة تتخللها مناورات عديدة، كي لا يقدم أي مستمسك ضد نفسه وهذه، هي الصفة بالذات التي طالما نعته لينين بها.

عندما اقترح زينوفييف والمقربون منه في المؤتمر الحادي عشر (آذار عام ١٩٢١) ترشيح ستالين لمنصب الأمين العام بخلفية فكرية تتلخص باستخدام علاقاته السيئة معي لتوجيهها ضدي، عارض لينين هذا، لكن في حلقات ضيقة. ونطق عندها جملته المشهورة: "لا أنصح بهذا الطباخ، فهو سوف يقوم بتحضير وجبات حادة فقط". كم تنم هذه الكلمات عن بعد نظر؟

إلا أن الذي انتصر حينها، هو وفد منظمة بتروغراد، الذي تزعمه زينوفييف. وكان انتصارهم سهلاً لأن لينين لم يخض هذه المعركة، ولم يعارض ترشيح ستالين حتى النهاية، فقط لأن أهمية منصب الأمين العام في تلك المرحلة، كانت رمزية. ولم يعط لتحذيراته طبيعة تضخيمية: لأن المكتب السياسي القديم بقي في السلطة، ولا يمكن أن يكون الأمين العام حينها سوى شخصية تابعة لا أكثر ولا أقل.

ساءت صحة لينين عام ١٩٢١ ، وغاب عن الوعي مدة خمسة أشهر فنصحه الأطباء بالابتعاد عن العمل قدر الإمكان، وعن أي نوع من أنواع الصراعات والمجادلات. وفي أيار عام ١٩٢٢ ، يتلقى لينين الضربة الأولى إذ بعد مرضه ، أخذ زينوفييف مهمة الصراع ضدي[٤] على عاتقه وكان يظن بأن ستالين، ذلك الثقيل الوزن، سيصبح رئيس أركان له في ذلك.

---

٤ ـ يعترف هنا تروتسكي بمسؤوليته التامة، عن نشوب هذا الصراع وحدته داخل المكتب السياسي واللجنة المركزية.

كان الأمين العام يتصرف في تلك الأيام على درجة كبيرة من الحذر، إذ لم تكن الجماهير على معرفة به البتة، وكانت سمعته ذائعة لدى قسم من الجهاز الحزبي فقط، لكنه لم يكن محبوباً حتى من قبل هذا الجهاز.

وابتداءً من عام ١٩٢٤ بدأ ستالين يتحرك بقوة. كما أقدم زينوفييف على دفعه إلى الأمام. اعتمد ستالين لتغطية خبرته المتواضعة في إدارة الأمور السياسية على كل من زينوفييف وكامنييف: ومن هنا بالذات كان الأساس لما سمي بميكانيزم "الترويكا". وكان زينوفييف الأكثر تحمساً لذلك: حيث قطر خلفه، ذلك الذي سيصبح حافر قبره.

وفي عام ١٩٢٦ ، عندما قرر كل من زينوفييف وكامنييف، بعد ثلاثة سنوات ونصف من العمل التآمري المشترك مع ستالين ضدي، الانتقال لمعارضة الجهاز الحزبي، أوصلوا لي بعض الأخبار والتحذيرات.

ـ قال كامنييف: ـ هل تظنون أن ستالين يفكر الآن بموضوع واحد فقط هو معاقبتكم على النقد الحاد الذي توجهونه له؟ بهذا تكونون مخطئين. إنه يفكر كيف سيتمكن من تحطيمكم، روحياً أولاً، ومن ثم جسدياً إذا تمكن. الاتهامات، تنظيم دعايات مغرضة، تدبير مؤامرة عسكرية، تنفيذ عمل إرهابي. صدقوني فهذا ليس بحدس، إننا في الترويكا كنا نصارح بعضنا البعض بكل شيء، على الرغم من أن علاقاتنا سادها أحياناً شيء من التفجر. إن ستالين يدير صراعاً مع الآخرين على مستوى آخر[٥]، يختلف تماماً عن المستوى، الذي يدير فيه الصراع معكم.

أنتم لا تعرفون هذا الملعون...

---

٥ ـ وهنا ايضاً يعظم تروتسكي شأن وسائله وطرق معارضته لسياسة ستالين وبشكل مقصود، باعتماده على أقوال كامينيف، الذي كان عندها قد تم إعدامه، ويحاول هنا تروتسكي التأكيد على أن ستالين كان قد بدأ باستخدام أساليبه هذه منذ بداية العشرينات.

عرف كامنييف ستالين جيداً. فقد تعاشرا في سنوات الشباب في بداية هذا القرن، لأنهما كانا في منظمة ثورية سرية واحدة في القفقاز، كانا معاً في المنفى، ثم عاداً معاً الى بتروغراد في آذار عام ١٩١٧ ، وسيطرا معاً على الهيئة المركزية للحزب ووجهوها بالاتجاه، الذي ارادوه والذي استمر سائداً حتى وصول لينينن.

أعاق وصول لينين إلى بتروغراد ستالين من تنفيذ سياساته، التي كان يريد بها أن تصل إلى نهايتها حتى تحطيم البروليتاريا والثورة[٦].

وبالنتيجة كان أن اعترف ستالين بأخطائه ومواقفه غير الصحيحة عام ١٩١٧ من خلال عبارتين تفوه بهما.

الزملاء الأوائل:

وجد ستالين في كل من أوردجونيكدزة ودزيرجينسكي أول زملاء وأصدقاء له[٧]، وقد كان كلاهما موضع انتقاد من قبل لينين دائماً.

كان أوردجونيكدزة بإرادته الضعيفة وعدم صموده، غير قادر جوهرياً على لجم جماح نفسه، واختلطت عنده صفات الرجولة والاستقلالية عندما كان ثورياً. لكنه عندما اصبح موظفاً كبيراً، ظهرت عنده في المقام الأول بعض الخصال كالفجاجة والتهور. أما لينين، الذي كان يعامله بحرارة في السابق فقد بدأ وبشكل مضطرد الابتعاد عنه. شعر أوردجونيكدزة بذلك. وانتهى الأمر بإقتراح قُدم من قبل لينين يقضي بإبعاده لسنة أو سنتين عن الحزب بسبب من استخدامه السيء لسلطاته.

---

٦ ـ لم يضع ستالين مثل هذه الأهداف أمامه، لا في آذار ـ نيسان عام ١٩١٧ ولا في العشرينيات.

٧ ـ إن الوصف اللاحق لكلا الشخصيتين، هو من تأليف تروتسكي، واستخدمه لكي يلقي ظلالاً على الذين اعتبرهم أعداءه الحقيقيين.

كما كان يسود هنالك علاقات باردة بين لينين ودزير جينسكي. تميز دزير جينسكي بالنقاء الداخلي العميق، وبالطبع الحماسي المندفع، ولم تخربه السلطة. وكانت خصاله هذه كافية لتنفيذ المهمات التي أنيطت به. وعلى الدوام انتخب عضواً في اللجنة المركزية، ولم يكن من الممكن أن يدور الحديث، في عصر لينين، عن دخوله في عضوية المكتب السياسي. في عام ١٩٢١ أو ١٩٢٢ ، شكا لي ذلك. وبصوت حزين قائلاً أنه لا يعرف لماذا لم يعتبره لينين إلى الآن شخصية سياسية، وحاولت طبعاً عندها أن أخفف من حدة هذا الانطباع لديه.

"لم يعتبرني لينين شخصية سياسية حكومية منظمة" - تابع دزيرجينسكي "لأي الأسباب تعزون ذلك؟" - "حيث يرفض وبإصرار الاستماع إلى تقريري كمفوض شعب لشؤون المواصلات "الاتصالات".

من الواضح أن لينين لم يكن مرتاحاً لعمل دزيرجينسكي في هذا المنصب. ودزيرجينسكي في الحقيقة، لم يكن منظماً، بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وكان يضم إليه موظفين يقومون بتنظيم عمله، لكن ليس على طريقته. ولكي تسير الأمور في هذه المفوضية بشكل جيد، كان من الواضح أن هذا لم يكن كافياً وفي عام ١٩٢٢ شعر كل من أوردجو نيكدزة ودزير جينسكي نفسيهما كشخصين غير مرغوب بهما، وأنه يجري إزعاجهما إلى هذا الحد أو ذاك. وحينها استغل ستالين هذا الشعور وأقدم على تقريبهما منه.

عاش أنوكيدزة في المجمع السكني نفسه، الذي عشنا فيه .وكأعزب، شغل شقة سكنية ليست بالواسعة، تصلح أن يعيش فيها في الأزمنة السابقة موظف من الدرجات الدنيا في السلم الوظيفي.

كنت ألتقي به عادة في الكاريدور. كان يسير حزيناً، رث الهيئة وكأنه كان

يلقي التحية عليَّ وعلى زوجتي[8]، وعلى أطفالي[9] باحترام شديد. غير أن انوكيدزة سار في طريق المقاومة السياسية الضعيفة، وكان مشابهاً في ذلك لكالينين. أما "زعيم الدولة" فبدأ يعتقد، أن مقدار القوة يحدد الآن لا بالجماهير، بل بالبيروقراطية، التي تقف بالذات ضد مفهوم "الثورة الدائمة"، وإذا كنت مع إقامة الحفلات، مع "الحياة السعيدة" فستصبح بلا جدل مع ستالين.

أما كالينين نفسه فقد استطاع ببلوغ هذه المرحلة، أن يصبح إنساناً آخر ليس بالمفهوم، الذي ينمي فيه من معارفه، أو تعميق وجهات نظره السياسية، بل أصبح كمثال لـ "رجل الدولة" الروتيني الذي أنتج نموذجاً جديداً هو التقرب من رجال العلم والفنانين وخاصة الفنانات.

عارفاً بشكل جيد الماضي القريب، بقي كالينين طويلاً غير معترف بزعامة ستالين. وبشكل آخر يمكن القول أنه خاف من ربط مصيره به.

"هذا حصان جامح - تكلم بذلك أمام حلقة ضيقة - يمكن أن يقوم في يوم من الأيام بربط عربتنا بإخدود ما".

ولم يمض وقت طويل، حتى غير اتجاهه وبدأ الحرب ضدي أولاً، ثم ضد زينوفييف ، وفي النهاية ضد كلٍ من ريكوف، بوخارين وتومسكي، الذين كانت تربطه بهم علاقات حسنة وعميقة على الدوام. لبس أنوكيدزة كذلك هذا التطور، سائراً وراء خطى كالينين، لكنه كان يحاول دائماً البقاء في الظل، وعلى الدوام كان يشعر بخوف وجزع داخليين كبيرين، وإذا قيمنا طباعه بشكل عام، يمكننا القول إن التكيف البطيء، كان من خصاله

---

٨ ـ ناتاليا سيدوف.

٩ ـ كان لتروتسكي من زواجه من سيدوف ولدان، الأكبر ليف، الذي ساعده في هجرته الثالثة (مات عام ١٩٣٨ ، بعد عملية جراحية للمعدة أجريت له في باريس) والأصغر ـ سيرغي ، بقي في الاتحاد السوفيتي (اعتقل عام ١٩٣٥ ، وأعدم بعدها، وأعيد له الاعتبار الآن).

الرئيسة، ولم يستطع أن يبقى بعيداً عن عصابة الترميدور. إلا أنه لم يكن له تلك الأهمية الكبيرة فيها، إذ لم يكن مفيداً جداً لها.

لكي يتمكن استقطاب انوكيدزة بشكل وثيق، أقدم ستالين على تعيينه في لجنة المراقبة المركزية، التي كان من مهامها الرئيسة متابعة ومراقبة الروح المعنوية في الحزب والعمل على رفعها.

هل كان يعرف ستالين، أن انوكيدزة نفسه يحتاج إلى من يرفع له الروح المعنوية. إلا أن مثل هذه التناقضات، لم توقف ستالين عن تصرفات مماثلة أبداً. ويكفي أن نشير إلى أن البلشفي القديم رودزدريك، المعتقل بهذه التهمة، تسنم منصب رئيس لجنة الرقابة الحزبية عدداً من السنين، أي إنه كان يجب عليه أن يكون الملهم الروحي المعنوي الأول في الحزب.

في آخر أيام إقامتي في موسكو، علمت من مصادري الخاصة، أن ستالين يمتلك أرشيفاً، يحتوي على وثائق وتقارير وأضابير عن جميع الشخصيات الحزبية المشهورة. وفي عام ١٩٢٩ عندما حصل انفصال علني مع اعضاء اليمين في المكتب السياسي، بوخارين، ريكوف وتومسكي، تمكن ستالين من التمسك بكالينين وفاراشيلوف ليبقيا في صفه.

وعندما تمكن ستالين من السيطرة على النوابض الحزبية الأساسية في الجيش، أقدم سريعاً على نقل فاراشيلوف من منطقة شمال - القفقاز العسكرية إلى موسكو، ونصبه مكان مورالوف. وبهذا تمكن من نقل عسكري كبير وتابع أمين ليكون إلى جانبه في موسكو.

المرشحون للخلافة:

كانت مسألة الخلافة بدون أدنى شك، الشغل الشاغل لحلقات القيادة

في الكريملين. وكان مولوتوف يعتبر المرشح الأول من الناحية الرسمية. كان مولوتوف يتمتع بالاستقامة والمحدودية وحب العمل. وبهذه الخصلة الأخيرة كان يتميز عن ستالين، الذي كان كسولاً. كان مولوتوف محباً لنفسه منذ نشأته: ولم يظهر هذا عنده بشكل ملحوظ إلا بعد أن احتل منصباً عالياً، بعد أن سار مقطوراً بستالين.

مارس مولوتوف الكتابة بأسلوب ديواني استشاري، كان أثناء الحديث يلتغ، إلا أنه خلق روتيناً إدرايأً، وعرف كيف يلعب في كواليس الجهاز.

في الخارج كان الحديث يجري، عن أنه يمكن أن يكون جدانوف الخليفة المنتظر. كان جدانوف شخصية جديدة، بدون أي تراث ومن المدرسة الستالينية، أي من عداد الشطار الإداريين. كانت كلماته ومقالاته تتصف بالابتذال والخبث. وإذا كان ستالين هو الذي رباه فلا يمكن أن ننتظر منه أفكاراً خاصة مستقلة. وإذا كان ستالين قد صنع من قبل الجهاز، فإن جدانوف صنع من قبل ستالين.

لم يكن أحد يتوقع أن فاراشيلوف سيكون الخليفة المنتظر لستالين، ذلك البلشفي القديم، عضو المكتب السياسي وقائد الجيش. وفاراشيلوف ليس سوى، شخصية ديكورية (مزخرفة)، ككالينين، كلاهما اتقن اللف والدوران في الحديث، وفي التصريحات، التي يمكن أن يسألوا عنها قليلاً أو كثيراً. كان فاراشيلوف أكثر حزماً، أما كالينين فكان أكثر التواءً، وخبثاً، كلاهما فقد ماء الوجه السياسي في شريحة الجهاز القيادي الأعلى، ولم يكن لهما أي رصيد يذكر.

ولا يمكن أن نرى خليفة في لازار كاغانوفيتش، الذي تمتع بخصال المدرسة الستالينية: ـ الحسم،المحدوية والغش.

العنوان

يحدثنا مؤلف رواية "عملية الضريح" ف. سولافييف، عن مقالة ليون تروتسكي "العنوان" التي اتهم فيها ستالين بدس السم للينين. ما مضمون هذه المقالة؟

إنها مقالة كتبها تروتسكي عام ١٩٣٩ قبل أيام قليلة من اغتياله ونشرت لأول مرة في الصحيفة الأمريكية "ليبرتي لابرتيس كوربوريشن". ونحن بدورنا هنا نعرضها مع بعض الاختصارات.

...نضجت هذه الأفكار والشكوك، المعروضة في هذه المقالة عندي أخيراً. ولا أنكر أنها برزت لبرهات من الزمن في وقت حدوثها، إلا أنني طردتها لظني أنها بضاعة مفرطة الريبة والشك. إلا أن المحاكمات الموسكوفية، التي كشفت من وراء ظهرها ديكتاتور الكريملين وما يدور في مقر سلطته من دسائس جهنمية ومن مؤامرات وتلفيقات، كدس السم والقتل من خلف الكواليس، سلطت ضوءاً شريراً على سنوات الماضي، الأمر الذي جعلني أتساءل مراراً وتكراراً عن الدور الحقيقي لستالين في مرحلة مرض لينين؟ ألم يستخدم هذا التلميذ وسائل ما لتُسرع موت معلمه؟

(لاحقاً يميط تروتسكي اللثام عنن تاريخ الصراع الحاد بين لينين وستالين

في نهاية عام ١٩٢٢ وبداية عام ١٩٢٣ ، ويكتب على الأخص عن تلك الأحداث، المتعلقة بوصية لينين).

....لم تؤد الوصية غرضها، الذي أراده لها لينين وهو إيقاف الصراع الداخلي، بل على العكس، قدمت هذه الوصية جرعة حياتية جديدة لهذا الصراع. ولم يشك ستالين أبداً بأن عودة لينين للعمل لا تعني إلا الموت السياسي له (للأمين العام). وكان مقتنعاً أن موت لينين هو الذي سيفتح أمامه الطريق إلى الزعامة.

العجوز يتعذب:

في شباط عام ١٩٢٣ ، أي في مرحلة المرض الثاني للينين، أعلن ستالين أمام اجتماع لأعضاء المكتب السياسي حضره زينوفييف وكامنييف ومحرر هذه السطور، وبعد إبعاد السكرتير،، أن إليتش استدعاه فجأة وطلب منه أن يدس له السم وتابع قائلاًإنه فقد قدرته على النطق واعتبر أن وضعه الصحي ميئوسٌ منه. وبتوقعه دنو أزمة صحية جديدة، لم يثق بالأطباء بعد أن لاحظ تناقضاتهم حول تشخيص حالته، إلا أنه حافظ على جلاء أفكاره، لكن معاناته لا تحتمل...

أتذكر، أنه لم يظهر على وجه ستالين ما يعبر عن هذه الأوضاع التي شرحها، والرغبة التي نقلها، على الرغم من أنها تحمل سمة تراجيدية. وأخيراً تمخض وجهه عن نصف ابتسامة كأنها ظهرت من خلف قناع.

ـ صرخت بدوري قائلاً: لا يمكن أن يدور حتى الحديث عن تنفيذ مثل هذه الرغبة! وشعر ستالين كأن الحديث موجه إليه، قابل هذا بانزعاج. لكنه تملص من الحديث قائلاً: العجوز يتعذب. يريد كما يقول أن يحتفظ بالسم عنده... وسيتناوله بعدما يتأكد من أن حالته ميؤوس منها.

- ... يتعذب العجوز، - كرر ستالين ذلك، ناظراً بلا تحديد ولم يستطرد الحديث كما كان يفعل سابقاً من هذه الجهة وتلك، وكان سبب ذلك، كما اعتقد، تيار الأفكار، الذي جرى في دماغه في الوقت، الذي كان فيه يتحدث، إلا أنها لا تتطابق مع ما نطق به حتماً.

من الطبيعي ، أن يبرز هنا مثل هذا السؤال: كيف توجه ولماذا توجه لينين الى ستالين بالذات، مع العلم أن علاقته به كان يعتريها الشك والريبة وبمثل هذه الرغبة، التي لا توجه إلا لمن ينال ثقة خاصة وكبيرة عند طالبها؟ وعلى الأخص إنه قبل عدة أيام من الموعد، الذي حدده ستالين، كتب لينين ملحقاً خاصاً بالوصية، كان قاسياً عديم الرحمة، وبعد عدة أيام من الموعد السابق الذكر، أقدم لينين على قطع جميع علاقاته به. حتى ستالين لم يكن يجرأ على طرح السؤال ذاته: لماذا توجه لينين إليه بالذات؟ ولا أن يجيب عليه.

أما الفزيرة فهي بسيطة: رأى لينين في ستالين، الإنسان الوحيد القادر على تنفيذ مثل هذه الرغبة التراجيدية، وعرف أنه المستفيد غير المباشر من تنفيذها. وبحدسه الصحيح، حزر لينين ما يدور في الكريملين وخلف جدرانه والمشاعر الحقيقية، التي يكنها ستالين له. وهو لم يكن بحاجة لمحاولة الدخول في عقول الرفاق القريبين ليحدث نفسه قائلاً: لا أحد غير ستالين يمكنه أن يقدم له مثل هذه الخدمة. ولربما كان يريد من ذلك اختبار ستالين: كمعلم (ماستر) "الطبخات الحادة"، وفيما إذا كان سيسرع في استخدام إمكانياته الواسعة؟

لم يفكر لينين في تلك الأيام بالموت، بل فكر بمصير الحزب. وكانت أعصاب لينين الثوري الأخيرة من بين أعصاب بعض البشر، التي يمكن أن لا تستسلم للموت. لكنني أطرح على نفسي سؤالاً يذهب بعيداً: هل من الحقيقة بمكان،، ما ادعاه ستالين بتوجه لينين إليه طالباً السم؟ أم هل اختلق ستالين ذلك اختلاقاً، لكي يقدم إثباتاً عن غيابه عن مكان الجريمة؟

مخبر السموم

لكي نفهم ستالين الحالي ومنهج أفعاله في أيام مرض لينين وموته، من الضروري تفسير بعض الأحداث، التي جرت أثناء المحاكمة الكبرى الأخيرة في آذار عام ١٩٣٨ .

أثناء المحاكمة، كان غيرنيخ ياغود أهم شخصية تقف في قفص الاتهام. عمل ياغود في لجنة الطوارىء ورئاسة الإدارة السياسية قرابة الستة عشر عاماً، أولاً كنائب للرئيس ومن ثم كرئيس. داومت علاقاته بستالين تتوطد، واعتبره الأمين العام أكثر الشخصيات قرباً ووثوقاً منه، وخاصة أثناء صراعه مع المعارضة. إذ تولى ياغود إدارة وتدبير نظام الاتهامات والتلفيقات وإيجاد أدلة على جرائم غير مرتكبة وإلى ما هنالك من أمور كانت لازمة له ولمعلمه الأمين العام. وياغود لم يكن عقل معلمه فقط، بل كان يديه أيضاً.

في بداية نيسان عام ١٩٣٧ ، اعتقلوا ياغود... وكُشِف في مجرى المحاكمة عن أمور وعظية (إرشادية) كثيرة وخطيرة. وحسب شهادة بولانوف، سكرتيره وأشّد ثقاته... ، كان ياغود يملك خزانة سرية خاصة للسموم، عُبئت هذه السموم في حقاق، كان يستخرج بعضها من حين إلى آخر وحسب الظروف ويسلمها الى عملائه مع التعليمات المناسبة للاستخدام. وفيما يتعلق بذلك، نذكر هنا أن رئيس الإدارة السياسية السابق، كان صيدلياً ماهراً أيضاً، وكان تحت تصرفه عدد من أمهر اخصائيي علم السموم، حيث أسس لهم مخبراً خاصاً وقدم لهم المصاريف والمواد دون حساب وبلا حدود ودون مراقبة. والأمر جلي هنا، أنه لا يمكن أن يسمح لياغود أن يتسلح بمثل هذه المؤسسة أو أن يبتاع هذه المواد، بحجة احتياجه الخاص لها. وعلى الأرجح، أنه كان يقوم بتنفيذ مهام رسمية.

موت لينين ودفنه:

أثناء مجرى محاكمة عام ١٩٣٨ ، اتهم ستالين بوخارين، بشكل عرضي،، بالإعداد لاغتيال لينين عام ١٩١٨ . أما الواقع فكان يشير إلى ان البسيط والجذاب بوخارين كان يؤله لينين ويتعامل معه معاملة الطفل مع أمه. وإذا تجرأ على الحديث مع لينين فكان لا يصل عنده الأمر، أبعد من حد المجادلة وهو جاثٍ على ركبتيه.

وعندما تتعرف على شخصية ستالين في العمق، تستطيع أن تقول بثقة تامة: إن هذا الاتهام الموجه لبوخارين كان صداً للشكوك التي راودت الأخير بخصوص ستالين ونطق بها بدون حذر. واستمر منحى الاتهامات، التي وردت أثناء المحاكمات الموسكوفية، يأخذ هذه الطريقة وهذا الأسلوب. ولم تنبع عناصر التلفيقات الستالينية الرئيسة عن فانتازيته الشخصية، بل أخذت من الواقع، وأغلبها نبع عن تخمينات معلم "الطبخات الحادة"...

أما أنا فأتصور الأمور على النحو التالي: إذا حدث فعلاً أن طلب لينين السم، فكان يجب أن يطلبه في نهاية شهر شباط عام ١٩٢٣ ، لأنه منذ بداية آذار أصبح مشلولاً تماماً، وكان التقرير الطبي في هذه المرحلة حذراً ولا يشير إلى أي أمل. وعندما شعر ستالين بذلك أصبح يتصرف كأن لينين في عداد الموتى، إلا أن المريض خيب أمله. إذ حافظ هذا الجسم العظيم والعالي الإرادة على تماسكه. ومع حلول الشتاء أخذت صحة لينين بالتحسن، إذ أصبح يتحرك بحرية أكبر ويستمع للقراءة وأحياناً يجيدها بنفسه، وبدأ يُركب جمل الحديث. وحينها قدم الأطباء نتائج واستنتاجات مشجعة...

نعم، لم تكن المسألة بالنسبة لستالين تنحصر في مجرى التطور العام، بل كانت تمس مصيراً خاصاً به: إما أن يتسنى له الوصول إلى رئاسة الجهاز،

وبالتالي للحزب والبلاد، أو أن يبقى طوال حياته مرمياً في الدور الثالث. أراد ستالين السلطة بأي ثمن كان.

هل نقل ستالين السم إلى لينين، لظنه بأن الأطباء سوف لن يتركوا أي أسلوب لشفائه إلا ويستخدمونه، أم إنه نحا إلى أساليب مباشرة، هذا ما لا أعرفه. لكنني متأكد من أمر واحد، هو أن ستالينن لا يمكن أن يكون قد بقي سلبياً في انتظار المصير، وخاصة لعلمه أنه يتعلق بشعرةٍ. والحل كان يتعلق بإشارة جد بسيطة من يديه.

في النصف الثاني من شهر كانون الثاني عام ١٩٢٤ ، غادرت إلى سوخومي في القفقاز محاولاً شفاء نفسي من عدوى مرضية لا أعرف مصدرها، أصابتني وكشفها الأطباء، إلا انهم لم يستطيعوا معرفة كنهها. لحقني خبر وفاة لينين وأنا في الطريق. وهنالك رواية منتشرة تقول إن سبب فقداني السلطة هو عدم حضور تشييع لينين. وأظن أن هذا التفسير ليس فيه شيء من الجدية. إلا أن غيابي عن التشييع كان سبباً لانطباع قاس تولد عند العديد من أصدقائي....

وصلتنا البرقية المشفرة عن موت لينين ونحن في محطة قطار تبليسي "عاصمة جورجيا". وعلى الفور أرسلت إلى الكريملين عن طريق الخط المباشر هذه القطعة المشفرة:

"أرى ضرورياً أن أعود إلى موسكو، متى سيتم التشييع؟".

وصلني الجواب من موسكو بعد ساعة تقريباً:

"سيتم التشييع يوم السبت، لا تستطيع الوصول في الوقت المناسب. والمكتب السياسي يرى أنه من الضروري لك بسبب حالتك الصحية المعتلة الذهاب إلى سوخومي. ستالين".

... ولم أعرف عن تأجيل موعد التشييع إلى يوم الأحد، سوى بعد وصولي إلى سوخومي. وبعدها عللوا اختلاف الموعد الفعلي للتشييع عن الموعد، الذي اعلموني به، بأسباب ادعوا أنه لم يكن من الممكن شرحها بسطور معدودة. لم يخدعني ستالين وحدي،، بل خدع كل من شارك في حكومة الترويكا...

اعتقد أن ستالين خشي أن أربط موت لينين بحديثه السابق عن السم، وأن أضع أمام الأطباء سؤالاً يستفسر عن سبب موته، وأطلب تحليلاً طبياً عن ذلك. وفي جميع الحالات، كان الأفضل أن أبقى بعيداً، حتى ذلك اليوم، الذي يكون فيه قد تم تجميد الجسد وسحب أحشائه الداخلية، حيث عندها يصبح من غير الممكن إجراء أي فحص أو تحليل.

وعندما استفسرت من الأطباء في موسكو عن الأسباب المباشرة للموت،، فوجئوا بهذا السؤال، وكانوا يحركون أيديهم حركات غير ذات معنى. وعرفت أن عملية الكشف عن الجثة تمت بالتزام مطلق بجميع الطقوس، الأمر الذي أشرف على تطبيقه ستالين "الأمين العام!" ولم يكن باستطاعة الأطباء البحث عن السم في الجسد، حتى لو أنهم كانوا يفترضون إمكانية الانتحار.

... لم اعقد مع زينوفييف وكامنييف علاقات خاصة إلا بعد عامين من ذلك، وحينما قطعوا علاقاتهم بستالين. واتضح لي أنهم تجنبوا الحديث عن ظروف موت لينين، وعندما كنت أسألهم عن ذلك كانوا يجيبون على تساؤلاتي باقتضاب وهم زائغو العيون... وكان أن لفت سحابة رصاصية تاريخ موت لينين. وتجنب الجميع التحدث عنه، كأنهم كانوا يخشون من تنفيذ تهديدات شخصية بحقهم. أما بوخارين العاطفي وكثير الكلام فهو الوحيد، الذي كان يجيل الطرف بين العيون ويغمز عن ذلك أحياناً.

ـ أحقاً لا تعرفون كوبي* ـ كان ينطق بذلك ويصحب هذا النطق بابتسامة جزعة. كوبي قادر على كل شيء...

* * *

كانت محاكمات موسكو وما يجري من أحداث على المسرح العالمي، سبباً وجيهاً يوجب علينا التطرق الى نيرون وتسيزار بوردجيا واستذكارهما أكثر من مرة. وإذا وصل بنا الأمر إلى تسمية هذه الظلال القديمة، أصبح من المنطقي التحدث عن السوبر نيرون والسوبر بوردجيا، ويعتبر اولئك متواضعين جداً إذا ما قورنوا بأبطال يومنا الحاضر.

.... والآن نعيش من جديد في مرحلة انعطاف بين نظامين وفي عصر أزمة اجتماعية عظيمة، من ذلك النوع الذي ترافقه دائماً أزمة في الأخلاق، نظامان أحدهما قديم صندىء حتى قاعة وآخر جديد بوشر في بنائه للتو. وعندما يتهدم سقف البيت، تخرج النوافذ من أطرها والأبواب أيضاً ويصبح العيش فيه كما الحياة صعباً. والآن نرى رياحاً قوية تدوي على كامل كوكبنا. تسوء الحالة ويسوء كل ما له علاقة بالأخلاق والتقاليد، وهذا كله ليس من صنع ستالين فقط.

... وهنا مرة أخرى لا نعثر على أي تفسير تاريخي. نيرون كان بضاعة عصره. لكن، بعد موته دمرت تماثيله ونزع اسمه عن جميع الأماكن، التي سميت به. إن انتقام التاريخ أرهب من انتقام "الأمين العام". وهذا هو سلواي وعزائي.

ليون تروتسكي ١٣ اوكتوبر ١٩٣٩

---

* كوبي : لَقَب ، لُقِبَ به ستالين – المترجم

هل تبين أن لينين مات مسموماً من قبل ستالين

تتضمن مقالة تروتسكي "العنوان"، الواردة في صحيفة أحداث وحقائق الأسبوعية في عددها /٤٢/ عام ١٩٩٠ ، والتي قدم لها وحررها ف. سولافييف، تتضمن محتوىً مخابراتياً مثيراً، وهي في الوقت ذاته تتطرق إلى مسألة جدية وحادة.

يعود تروتسكي إلى حياتنا بعد كثير من السنين، طواه فيها النسيان. وبما أن تاريخنا هو حاضرنا ويومنا الراهن، لذا نرى هذه الشخصية تعود إلى حياتنا. وهذا النسيان الذي خيم على هذه الشخصية، كان منطلقاً من مخاوف المزاحمة وعاكساً مباشراً لها. ونحن المؤرخين، على الرغم من أننا نحاول بالتدريج الابتعاد عن الفكر الأحادي الجانب لـ" التاريخ المختصر للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي (البلاشفة)"، لانزال، من الداخل، جاهزين لاتخاذ وجهات نظر توفيقية.

وهكذا نعود إلى إياب تروتسكي. فهذه العودة تبدو، في إحدى تقييماتها، ذات حواف كريستالية: فتروتسكي هو "ستاليني"، ويبدو أنه لو كان القدر نصبه قائداً مكان ستالين، لكانت البلاد بهذه الدرجة أو تلك،

وصلت إلى ما هي عليه اليوم، عبر الأساليب ذاتها أو ما شابهها. ويبقى الإشارة إلى تلك الحقيقة التي تقول إنه، منذ أيام أوكتوبر حتى وفاة لينين، لم يكن بين ستالين وتروتسكي سوى تباينات تكتيكية في وجهات النظر. لهذا تصبح المعادلة التي تقول "تروتسكي = ستالين"، هي التي توجهنا إلى لينين، أي إلى تلك المسألة المؤلمة وهي علاقة اللينينية بالستالينية.

ركز تروتسكي كامل جهوده، منذ بداية العشرينات، لخلق قطيعة بين ستالين وأوكتوبر من جهة، ومن جهة أخرى بين ستالين ولينين. وفي مقالته الأخيرة، يوجه تروتسكي ضربته الأخيرة الحساسة. فهو في هذه المقالة يريد أن يقول، بشكل غير مباشر، أو لغاية في نفس يعقوب، ويريد أن يؤكد على أن ستالين حينما أدرك أن القيطعة بينه وبين لينين أصبحت أمراً لا مرد له، وأن شفاء لينين وعودته إلى ممارسة العمل السياسي تعني موته السياسي، لجأ إلى دس السم للينين للتخلص منه، ليصبح الطريق السياسي مفتوحاً له على مصراعيه.

هل قمنا بالتدقيق بأقوال تروتسكي وإدعاءاته هذه، من خلال الوثائق؟ أجل، نحن نقول هنا أن هدف الصراع السياسي الأخير الذي أداره لينين هو إقصاء ستالين، الذي ما فتأ يحاول وضع الحزب تحت مراقبته الخاصة. إلا أن الحظ لم يكن للأسف مواتياً للينين. ومن جهة أخرى يجب قول الحقيقة، التي تقول أن تروتسكي كان يضخم بمقدار احتمال شفاء لينين، في الوقت الذي كان فيه جميع رفاق لينين ينظرون إلى هذا الموضوع، في المدة الواقعة بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٢٣ ، نظرة مختلفة تماماً. وعلى أي حال، نقول إن العمل السياسي كان قد توقف داخل جدران الحجرة، التي كان يقطن فيها لينين مريضاً. فهذه كروبسكايا تكتب بحزن في نهاية أوكتوبر عام ١٩٢٣ قائلة: "فكرت حينها: هل من الأفضل له (أي للينين - المحرر) أن يشفى

ويستعيد صحته، في الوقت الذي فيه يبتعد عنه رفاقه القدامى، ولا يأخذون برأيه، أو يحرفونه؟"*. وأظن هنا أن ستالين لم يكن يشعر بأي خطر "من قبل لينين". ونظراً لذلك فإن الحديث عن واقعة التسميم، يصبح حديثاً شريراً وخاصة إذا صدر عن تروتسكي وبالطريقة التي سردها.

ونحن هنا نعرض شهادة هامة أدلت بها م. ي. اوليانوف، التي حسبها طلب لينين، الذي كان خائفاً من الشلل (حسب كلمات ستالين)، من ستالين أنه بحالة إصابته بالشلل، أن يساعده في الحصول على سيانور البوتاسيوم، وأن ستالين "وعده بذلك". وبما أنه لوحظ بعض التحسن على حالة لينين الصحية، صارحه ستالين بأن "وقت تنفيذ طلبه لم يحن بعد"**.

هنا نلاحظ أن كلاً من ليون تروتسكي و م.ي. أوليانوف، فسر سبب تقدم لينين بهذا الطلب المخيف إلى ستالين بالذات، بطريقة مختلفة. وهذه تعتبر من النقاط الهامة. فحسب تروتسكي نستنتج أن لينين كان يضرب على وتر "مصلحة ستالين بذلك". أما م. ي. اوليانوف فتقدم تفسيراً آخراً. فهي تكتب قائلة أن لينين كان يعرف ستالين "كشخصية قاسية فولاذية، غريبة عن كل حساسية في عاطفتها". لهذا لم يكن من الممكن أو من المفيد التقدم بمثل هذا الطلب من أي شخص آخر"***. وباعتقادي أن هذا التفسير الأخير أكثر إقناعاً. فلا أحد من المحيطين بلينين كان قادراً على هذا العمل، وستالين وحده كان قادراً على ذلك دون أن يرف له جفن. وستالين لم يتقزز أبداً من أية عملية اغتيال سياسي. فهل كان لينين ضحيته - هذا ما لا نعرفه، واعتقد أننا لن نعرف ذلك أبداً. لكن ليست هنالك شكوك حول حقيقة أن ستالين خلق ظروفاً مناسبة ساهمت في الإسراع في وفاة لينين.

---

* ـ النشرة الدورية للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ـ ١٩٨٩ ، العدد ٢ الصحفة ٢٠٢ .

** نفس المصدر، العدد ١٢ ، ص ص . (١٩٧ ـ ١٩٨).

*** المصدر السابق نفسه ، ص ١٩٧ .

فلينين حتى وهو ملقى على فراش المرض، كان عائقاً امام ديكتاتورية ستالين. وفي هذا المجال يمكننا تصديق تروتسكي، الذي أكد، في عام ١٩٢٧ على قول كروبسكايا: "أن لينين لو شفي من مرضه، لكان من نزلاء سجون ستالين"**.

ليس من الاحتمال أن نعتبر أن الستالينية هي ظاهرة غريبة عن البلشفية (من الصعوبة التصور أن مثل هذا الإنسان، كستالين، يمكنه أن يكون من عداد المناشفة)، لأن البلشفية لم ترفض الإكراه والإرهاب كأسلوب في الصراع السياسي. غير أنه إذا كان هذا الأسلوب استخدم من قبل البلشفية في الصراع الثوري الجبار الذي خاضته، فإن ستالين سمح لنفسه باستخدامه في المطلق.

** ــ حياتي، ليون تروتسكي ، الجزء الثاني، برلين ١٩٣٠ ، ص (٢١٩).

التروتسكيون والبيريسترويكا
على لسان أحد زعمائهم أرنست ماندل
"نعم" و "لا" للإصلاحات السوفيتية

يتوجب علينا تجاوز الأحكام المسبقة وعدم التعميم الأيديولوجي حينما ننظر إلى العقيدة والأفكار السياسية لأولئك، الذين يعتبرون أنفسهم ورثة ليون تروتسكي، ليس فقط انطلاقاً من هدف امتلاك تصور حداثي للطيف الفكري السياسي، وإنما من أجل الملامسة المثلى لمضمون ذلك التقليد، المرتبط باسمي ماركس ولينين. إذا حاولنا التقرب من التروتسكية دون تحامل، يتراءى لنا عند ذلك أن العديد من شعاراتها وأفكارها كانت معروفة. نقول إن الدعوات المعادية للبيروقراطية في عقيدة التروتسكيين صدحت وسُمعت بين صفوف الراديكاليين الديمقراطيين في الحزب الشيوعي السوفيتي وممثليهم المنتمين إلى القاعدة الماركسية. والشعار الثوري يذكرنا بما هو عليه الأمر لدى الجبهة المتحدة للشغيلة. وإذا رغبنا في التعرف على التروتسكية الحديثة، فأفضل أمر يمكن فعله هو اللقاء مع ممثليها أنفسهم.

قابل مراسلنا أرنست ماندل، أحد قادة الاتحاد العالمي للتروتسكيين،

الذي يمتلك تنظيمات في خمسين بلداً من بلدان العالم. أرنست ماندل هو مؤلف ما يزيد على الخمسة عشر كتاباً.

سؤال ـ ما هي المفاهيم الرئيسة اليوم للأممية الرابعة؟

جواب ـ يمكننا أن نختصرها بالبنود التالية:

نحن ثوريون، أي نحن مقتنعون بأن الإصلاحات، التي نناضل من أجلها، هي تلك، التي تلبي مصالح الشغيلة ومؤيديهم، وهي ليست كافية للقضاء على التناقضات الرئيسة، التي تهز العالم. من الضروري حدوث تغييرات ثورية، تلك التي يمكن الحصول عليها بالمشاركة الواسعة والفعل الجماهيري خلال بروز تنظيمات ذاتية توجهها الجماهير (مجالس الشعب). وبشكل بسيط يمكن القول، إننا نميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال الثورية الجارية في العالم: عملية الثورة البروليتارية في الدول الرأسمالية والمتروبولية، عملية الثورة الدائمة، التي تمزج بين تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية (الاستيلاء على السلطة من قبل البروليتاريا بالاتحاد مع العمال الزراعيين) في دول "العالم الثالث"، عملية الثورة السياسية المعادية للبيروقراطية في الدول، التي عادة كانوا يسمونها "بالاشتراكية".

نحن من المناصرين الأشاوس للاشتراكية الديمقراطية. هذا يعني كما هو الحال في حركة العمل وفي نقابات العمال وفي الأحزاب الجماهيرية وفي المعاهد الحكومية لما يسمى بالمجتمعات الما بعد رأسمالية، أننا نناضل لنيل حق السير في هذا الاتجاه أو ذاك للوصول إلى الحرية الثقافية والسياسية وضد مبدأ الحزب الواحد. نحن مع الاختيار الحر عن طريق الانتخابات العامة والشاملة في ظروف توفر ممثلين، نحن مع حرية الصحافة والتكتلات وغير ذلك الكثير.

نحن أمميون ومقتنعون أنه بدون الفعل المشترك للشغيلة ومناصريها، وشعوب بلدان عديدة لا يمكن أن نصل إلى حل للمشاكل المفتاحية لعالمنا الحاضر. ربينا أجيالاً جديدة من الأمميين، يناضلون قبل كل شيء ضد الشوفينية في أممهم، كما علمنا لينين. يدور الحديث عن حرية اختيار الطريق، بقناعة عميقة، دون العودة إلى أية مرجعية ودون الخضوع لأي كان (قائد أو دولة). نحن نفتخر بموقف رفاقنا الفرنسيين، حينما تصدوا للنضال ضد الحرب في الجزائر وبموقف رفاقنا البريطانيين حينما وقفوا ضد حرب الفوكلاند.

سؤال: يتراءى لنا أنكم لا تقدرون جيداً مقدرة الرأسمالية على التكيف والتغير، وكذلك أهمية المشاكل الضخمة، التي تواجهها البشرية...

جواب ـ في هذا الأمر ينحصر الجدل الدائر بين الاصلاحيين (يساريون ليباليون، اشتراكيون ـ ديمقراطيون أو شيوعيون أوروبيون غربيون أو شرقيون) من جهة، والثوريين من جهة أخرى. وعندما يتحدث ميخائيل غورباتشيف عن أهمية مجموعة كثيرة من المشاكل للنوع البشري، هو بدون شك يقوم بخطوة إلى الأمام بالمقارنة مع المفاهيم الستالينية التقليدية، التي كانت تعتقد بإمكانية بناء الاشتراكية وتحقيقها النهائي في بلد واحد منعزل. ناضلنا نحن دوماً ضد هذه الآراء الخيالية، وأكدنا على أنه بمباشرتها بناء الاشتراكية في بلد واحد أو عدة بلدان، سوف تواجه الطبقة العاملة في هذا الطريق عوائق تتزايد باستمرار، قبل أن تتمكن الاشتراكية من أن تعم الدول المتطورة من العالم.

الآن، تواجه البشرية مشاكل كبيرة، لا يمكن حلها إلا على المقياس العالمي: خطر الحرب النووية والكيميائية والبيولوجية، المشكلة الإيكولوجية،

مشكلة الجوع، المرض والفقر في دول "العالم الثالث". تخلق هذه المشاكل بروز خطر محدق هو الفناء الفيزيائي للنوع البشري. في هذا نتفق مع تنبؤات ميخائيل غورباتشيف. ونحن نعتقد أنه يتوجب على كل شيوعي، اشتراكي، إنسان أن يشارك في حل هذه المشاكل ويعتبرها، من مهماته الشخصية الرئيسة.

إلا أن السؤال ينحصر في، كيف يمكن وإلى الأبد تجنب الخطر وجميع الكوارث.. ينحصر كامل مدخل "التفكير الجديد" لغورباتشيف في محاولة حل هذه المشاكل بتعاون كامل ووطيد مع الرأسمال العالمي الجبار... وهذا وهم مطلق - افتراض أنه مع الزمن سوف يزول التناقض الذاتي في العالم الرأسمالي، التناقض الداخلي في المجتمع البرجوازي، التناقض بين المتروبوليا و "العالم الثالث" أو يخف. ونحن على العكس نتوقع أنهما ستحل احدهما مكان الأخرى، وستتابع الأزمات، بغض النظر عما يريده الإصلاحيون أم الثوريون.

يتوجب عليّ أن أشير إلى أنه منذ عام ١٩٤٥ لم يمر عام واحد دون نشوب حرب في هذا الجزء من العالم أو في ذاك. نشبت منذ ذلك الزمن ثمانون من الحروب. أنا أوافق على وجوب اتخاذ التدابير اللازمة وبذل الجهود الممكنة لتجنب محاولات حل هذا النزاع أو ذاك بطريقة الانتحار الذاتي في الحروب. لكن كيف يمكننا أن نوصل التجمعات الصناعية العسكرية إلى مثل هذه القناعة؟ كيف سنؤثر على ديكتاتوريي القمع، الذين يقمعون عشرات آلاف العمال والفلاحين والمثقفين، كما يحصل هذا في السلفادور أو في غواتيمالا؟ أظن أن الانفجارات الاجتماعية ستتضاعف. أعتقد أنه في مثل هذه الظروف يجب أن تنحصر مهمة الشيوعيين (الاشتراكيين) في توجيه هذه الانفجارات إلى النصر.

سؤال ـ تتطرقون عادة الى البيروقراطية في كتاباتكم كقوة اجتماعية. ما الذي تقصدونه بذلك؟

جواب ـ نحن نُدخل في مفهوم البيروقراطية، جميع أولئك الذين يمارسون سلطة على المجتمع (الحديث يدور عن السلطة في الدولة، في الاقتصاد، في "المنظمات الجماهيرية"، عن السلطة في مجال الإنتاج والحاجات "الثقافية") على أساس احتكاري، أي تجنب المراقبة الفعالة لجماهير الشعب.

يرتبط هذا الاحتكار في ربط السلطة بشكل وثيق بالمكاسب المادية. وهذه المكاسب متواضعة بالنسبة لصغار البيروقراطيين، على الرغم أنه لا يجب إهمال النتائج السلبية لهذا الإفراط في توازن أوضاعهم وهذه الفوائد الصغيرة اللامتناهية العدد والاستخدام السيء الذي ينتج عنها. وهذه المكاسب بدون أدنى شك كبيرة وكثيرة لمن هم في قمة السلطة ـ ابتداءً من مخازنهم الخاصة، بيوتهم الريفية، مشافيهم الخاصة، مدارس خاصة لما يسمى "بالشبيبة الذهبية"، والامكانيات الواسعة للإقامة في المنتجعات والسفر خارج البلاد...

يؤثر احتكار السلطة وما يجر وراءه من مكاسب مادية في وحدة كاملة أحدهما على الأخرى ويرتبطان برباط وثيق العرى. ولا يمكن تدمير احدهما دون الآخر، لأن "سياسة الأوامر" تهيمن على "الاقتصاد الأوامري"، وشعار "كل السلطة للسوفيتات" في هذه الظروف يعني التدمير الراديكالي لاحتكار البيروقراطيين للسلطة وإلغاء المكاسب المادية للبيروقراطية.

سؤال ـ أليس هذا بالذات ما يحاول تحقيقه الحزب الشيوعي السوفيتي وميخائل غورباتشيف؟

جواب ـ لا يمكن المجادلة، بأن ميخائيل غورباتشيف وعدد محدود من عداد العلماء، المؤدلجين والشخصيات الحزبية، الذين دعموه بأكثر الأشكال راديكالية فضحوا الاستخدام السيء للسلطة والمكاسب، التي يحصل عليها البيروقراطيين. هذا يعتبر حقيقة إيجابية.

لكن يجب أن نشير إلى أن الأمر لم يصل إلا إلى تقدم صغير (أو أنه لم ينل أي نجاح يذكر) في ذلك الطريق، الذي يؤدي إلى القضاء العملي على السلطة ومكاسب البيروقراطيين، ويشار هنا إلى أن النجاح تحقق قبل كل شيء في المجال السياسي، لا في مجال المكاسب المادية. يؤكد هذا الأمر القانون التاريخي العام: الهياكل (أما البيروقراطية الديكتاتورية - فهي هيكل) لا يمكن أن تهدم بالتدريج خطوة إثر خطوة ولكي نتمكن من هدمهانحتاج إلى ثورة.

دافعت حركتنا عن هذا المفهوم قرابة الخمسة والخمسين عاماً، ونعتوها لهذا "بالثورة المضادة". أما اليوم فإنهم في الاتحاد السوفيتي وفي جزء هام من الحركة الشيوعية العالمية أصبحوا يفهمون هذا بشكل أفضل، أين كان مضادو الثورة الحقيقيون وأين ـ الثوريون الحقيقيون.

لكن هنالك بوناً شاسعاً بين الفعل والقول، وأكثر شيء يثير حفيظة المواطنين السوفييت، إذا كنت لا أفترض فقط، هو المعلومات الكاذبة. أما في الحقيقة فإن سوء استخدام السلطة والمكاسب المادية لا تزالان تحافظان على نفسيهما.

إن سبب ذلك واضح. والشيء الذي يسميه غورباتشيف "ثورة" يسميه العديد من المراقبين الغربيين "ثورة من فوق". ـ ما هذا في واقع الأمر سوى إصلاحات، يحاول النظام البيروقراطي أن يجعلها عامة، لكن دون أن تقترب منه. ولا يمكن كنس هذا النظام إلا "بثورة من تحت"، بأعمال

مصيرية يقوم بها عشرات الملايين من المواطنين السوفييت والعمال قبل كل شيء.

سؤال ـ ألا تفكرون بأن الإسراع في الخطوات يؤدي إلى عدم استقرار في الأوضاع، وكذلك إنجاز أعمال، لا يمكن التحكم بها، وهذا يؤدي إلى بروز الفوضوية، والأخيرة سوف تستغل ظروف التناقض لدعوة الأعداء الداخليين والخارجيين للإصلاحات للانقضاض عليها؟

جواب ـ فيما يتعلق بالخشية من "الفوضوية" و"عدم التوازن" وعودة المحافظين ـ الستالينيين الجدد، فإنها دون أدنى شك، جزء من الحقيقة. إلا أن النصائح، النابعة من ذلك والتي توجه إلى "الراديكاليين" ليصبحوا أكثر اعتدالاً وإلى جماهير الشغيلة، يقصد منها شيء غير ذلك، لا تتناسب هذه النصائح مع المنطق المؤسس للديناميكية الحاضرة في بلدكم. تنحصر المخاطرة الحقيقية هنا، في أنه من جديد يمكن أن يستعيد الستالينيون الجدد والمحافظون قوتهم، الأعداء الحقيقيون للديمقراطية، أما القضاء على المكاسب المادية والتي تتمتع بها البيروقراطية بمختلف مستوياتها (بما فيها قمة السلطة) فإنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنهوض الجماهير وفشلها، الأمر الذي لا يزال ضعيفاً. وستصبح البيروقراطية والستالينيين الجدد ضعيفين جداً أمام عشرات ملايين الشغيلة عندما تنهض بنشاط لاستلام زمام الأمور.

يمكن أن نختصر الحديث السابق بالقول أن المماطلة في النشاط العملي لتحقيق الإصلاحات أو تضييقها (كما في السابق، على سبيل المثال، تغييب المراقبة العمالية الحقيقية في توجيه الاقتصاد) يخلق مللاً وخيبة أمل لدى الجماهير. في هذا بالذات ينحصر الخطر الحقيقي، خاصة عندما يجري ذلك على التوازي مع غياب التحسن الظاهر في ظروف حياة الجماهير. يمكن أن

يسبب هذا الأمر إثباطاً للعزيمة. وعلى هذا تعتمد الستالينية الجديدة للعودة ثانية.

أما موقفنا من غورباتشييف وسياساته، فهو النقد من اليسار وليس من اليمين. إنني اعتبر الستالينية الجديدة ـ المحافظة قوة سياسية يمينية، وهي أشد خطراً على الشعب السوفيتي، على الطبقة العاملة السوفيتية وعلى الحركة العمالية العالمية ضمن أطر الحركة الشيوعية العالمية. وتنحصر خصلتها الرئيسة في تكرار التعاويذ الأرثوذوكسية المذهبية الكاذبة، التي تتخلف آلاف السنين عن تعاليم ماركس ولينين. وما تتصف به بشكل رئيس هو الخيار لصالح تقزيم حرية الفعل الجماهيري والقضاء عليها، وهذا وراء منع الإضرابات وتحريم المظاهرات، وخنق حرية الصحافة وتقزيم الحريات السياسية والثقافية والعلمية.

إن أي نجاح لمثل هذه القوة على هذا الطريق سيصبح كارثة تاريخية تصيب الشعب السوفيتي والإنسانية جمعاء، كالذي حدث عندما وصل ستالين إلى السلطة في العشرينيات.

سؤال ـ ومع ذلك تتجنبون الإجابة على السؤال المفتاحي حول البيريسترويكا.

جواب ـ إنني لا أريد أن أتهرب من الإجابة على هذا السؤال. لا يمكن اعطاء علاقتنا بالبيريسترويكا شكلاً مسطحاً على طريقة: "إما نعم ـ نعم أو لا ـ لا "، كما لم تشكل مواقفنا السابقة من السلطات السوفيتية الستالينية البريجنيفية بنفس الطريقة.

إلا أنني لست "عالماً بشؤون الكريملين" ولست "خبيراً بالمسائل السوفيتية" تحدو الأجانب الرغبة في البوح عن أمور قطعية ومحددة فيما

يتعلق بما يجري في مثل هذا البلد الكبير كالاتحاد السوفيتي، إلا أن كلاً منهم يلاحظ أن هنالك أموراً غير مفهومة وغير عادية تجري حتى لو كان هذا الأخير من أشد المتحمسين والمدافعين عن التقاليد الثورية لأوكتوبر، والشيء الأهم الذي يمكن أن أصرح به هو - إن ما يجري هو افتراضات عملية، أما الحياة فيمكن أن تؤكد أو أن تنفي صحتها المبدئية أو الكلية.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما ورد سابقاً، يمكنني أن اختصر مواقفنا على الشكل الآتي: "نعم" (بحماس) للعلنية وبحماس أكبر "لمحاولات السلطة السوفيتية ولمبادراتها من أجل نزع السلاح وخروج القوات السوفيتية من أفغانستان ونرفض المذهب البريجنيفي القائل "بالسيادة المحددة" لدول شرق أوروبا، نعم لإعادة العلاقات الطبيعية وأواصر الصداقة مع جمهورية الصين الشعبية.

إطلاقاً "لا" - للاتفاقات مع الولايات المتحدة لحل النزاعات الإقليمية، التي ستلحق ضرراً بالنضال وحرية الفعل وبمصالح الجماهير الشعبية في أمريكا الوسطى وافريقيا الجنوبية وغيرهما من المناطق في العالم. إطلاقاً "لا" - لأي تحديد في تقديم المساعدات إلى كوبا ونيكاراغوا. وليس أقل من هذا إطلاقاً "لا" - لكل الأحلام والتخيلات التي ترى أن الامبريالية قادرة على أن تصبح "سلمية" و"عقلانية"، فيما يخص حل المشاكل المركزية للإنسانية.

"نعم" مشروطة - لتفكيك الاقتصاد الأوامري الشديد المركزية وكذلك نعم لاستخدام ميكانيزمات السوق في مجال التوزيع، الخدمات، تطوير الملكيات الصغيرة، على سبيل المثال، الصناعة الخفيفة، الزراعة.

قطعاً "لا" - لجميع نماذج التطور الاقتصادي، التي ستؤدي إلى تقويض الحماية الاجتماعية للشرائح الأقل دخلاً من الشغيلة "الفقراء الجدد" . مطلقاً "لا" - لأي خطر على التشغيل الكامل، وإدخال مفهوم العطالة عن العمل

بحجة "ضبط" العمال. "لا" قطعاً - للوهم القائل أن منطق السوق يمكن أن يقضي على جميع العجز والتسويف، الذي يجري في الاقتصاد الأوامري، مضافاً إلى ذلك الانتشار المنظم لأفكار الإدارة الذاتية الديمقراطية للنظام المخطط كطريق ثالث، معاكس للاقتصاد الأوامري، كذلك للإقتصاد، الذي يهيمن عليه السوق. يجب على المنتجين المراقبين من قبل المستهلكين (هم في الاتحاد السوفيتي صنفان غالباً ما يتداخل أحدهما في الآخر) أن يكونوا سادة على اقتصادهم بحيث يحددون ما يجب إنتاجه لهم، كيف وإلى أين يجب توجيه هذه السلع، وأين ستستهلك...

يجب أن تتمتع مثل هذه الإدارة الذاتية بمرونة معينة، أي أنه يجب أن تمتلك الجماهير حرية اتخاذ القرار ذاتياً، اختيار المناسب من مجموعة المبادرات المختلفة في تنفيذ المشاريع، ويجب عليهم أن يحددوا الجزء، الذي يجب أن يوزع على مستوى البلاد، وأي جزء على مستوى كل جمهورية، كل مدينة أو قرية، وأي جزء على مستوى كل فرع صناعي وعلى مستوى كل منشأة.

لهذا نعتبر أن التخطيط الذاتي التحكم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالديمقراطية وبالليبرالية السياسية، وبدون هذا الارتباط لا يمكن أن يكون هنالك أية حرية اختيار للشغيلة، ولا أية دعوات حقيقية لتحقيق الإدارة الذاتية العمالية.

سؤال – يماثلون في الغرب وفي بعض دول أوروبا الشرقية فشل الستالينية، ما تسمونه أنتم "الاقتصاد الأوامري" بانهيار الاشتراكية، هل تشاركونهم هذا الرأي؟

جواب - قبل كل شيء. إذا لم يستطع الاقتصاد الأوامري ارضاء حاجات المستهلك في الاتحاد السوفيتي وفي دول شرق أوروبا، كما هو الحال في الدول الامبريالية، إلا أنه تمكن من تأمين الرفع التاريخي للمستوى

الحياتي والثقافي في هذه البلدان بفضل إيجابيات التخطيط. لا يمكننا أن نقارن بين مستوى حياة المواطن السوفيتي المتوسط، البولوني أو الفلاح المجري اليوم، غير متحدثين عن العامل أو الفلاح الكوبي مع مستوى حياته قبل الثورة. أما في الصين فمثل هذا التطور أكثر ملاحظة.. يترافق هذا التغيير بعدم مساواة حقيقية، لكنها أقل مما هو عليه الأمر في الغرب، وبشكل خاص في دول "العالم الثالث". يترافق هذا التقدم مع تحديد في الحرية السياسية، التي لا تخضع لأي نقاش والتي لا تشترك مع منطق التخطيط بأي شيء عام. ثانياً، وهذا حسب وجهة نظري، أمر جوهري، إن صعود الحركة الاشتراكية لم يرتبط بأي "نجاحات اقتصادية" أو "نجاحات إدارية" للبلدان وحكوماتها، ولن يرتبط بهما في المستقبل.

إن صعود الاشتراكية أمر حتمي، طالما يوجد في المجتمع البرجوازي استغلال، عبودية، عدم مساواة وبقيت تلك القناعة التي تؤكد على تغيير هذا المجتمع بآخر يختلف جذرياً عنه. يمكن الاعتقاد، أن مثل هذه القناعة تذوب بالتدريج مع كل فعل تحرري عملي لتلك الطبقة الاجتماعية، التي تتحكم بالكمون الاقتصادي والمقدرات التنظيمية، وهي بالذات قادرة على خلق مجتمع جديد مؤسس على التعاضد والتعاون والمساواة، وليس على المزاحمة، أو التعطش الذاتي للثراء وصراع الكل ضد الكل. ما هذه الطبقة إلا طبقة البروليتاريا بما لهذه الكلمة من معنى واسع، أي جميع الوجوه المغموسة بالعمل.

إنني على أشد قناعة، أن هذه الحقائق تفعل اليوم بشكل أقوى، مما كانت عليه في أي يوم من الأيام. لهذا أنا مقتنع بأن للاشتراكية وللماركسية مستقبل.

قال ماركس: "...يجب تدمير أي ظروف اجتماعية، يكون الإنسان

محتقراً فيها مستعبداً ومتروكاً لمصير الشيطان...". انحصرت جرائم الستالينيين ومن أتى بعدهم، في تحويلهم مبادىء الاشتراكية إلى صنمية عن طريق تضخيمهم لقيمة الإداروية مدعين أنها "السياسة الواقعية". إذا عادت الاشتراكية ومعها الماركسية إلى الافكار التي رفعناها في البداية، فستكونان سباقتين ولا نصر إلا لهما.

المراجع

١ ـ صحيفة احداث وحقائق الاسبوعية. العدد /٣٤ / ١٩٨٨ . بقلم الدكتور ف . فاسيتسكي.
٢ ـ صحيفة احداث وحقائق الاسبوعية العدد /٣٨/ ١٩٩٠ . بقلم الدكتور ف روغوفين.
٣ ـ صحيفة الأزمنة الحديثة الاسبوعية العدد /٣٢/ ١٩٩٠ . بقلم الدكتور. فلاديمير سيروتكين.
٤ ـ صحيفة كومسو مولسكايا برافدا عدد ١٩ أيار ١٩٨٩ .
بقلم ن. أ. فاسيتسكي.
٥ ـ مجلة سبوتنك الشهرية عدد أيار عام ١٩٨٩ . عن كتاب "النصر والتراجيديا" للمؤلف الجنرال ديمتري فولكوغونوف، مدير معهد التأريخ العسكري.
٦ ـ صحيفة أحداث وحقائق الاسبوعية ، العدد /٣٧/ ١٩٨٩ . عن كتاب تروتسكي "ستالين".
٧ ـ صحيفة احداث وحقائق الاسبوعية العدد /٤٢/ ١٩٩٠ . بقلم ف. سولافييف.
٨ ـ صحيفة زاروبيجوم الاسبوعية، العدد /٤٠/ عام ١٩٩٠ . بقلم دكتور العلوم التاريخية غ.ز. ايوفييه.
٩ ـ صحيفة الأزمنة الحديثة الاسبوعية العدد /٣٩/ عام ١٩٩٠ . بقلم مراسل الصحيفة.

الفهرست

صدر للمترجم

١ ـ موسوعة الحرب الالكترونية ـ دمشق ١٩٩٢

٢ ـ البرجوازية الصغيرة كمشكلة اخلاقية اجتماعية ـ دار الحصاد ـ ١٩٩١

٣ ـ ملفات أدبية (غوركي، باسترنياك، حمزاتوف) دار الحوار ـ ١٩٩٠

٤ ـ نهاية التاريخ ـ دار الحضارة الجديدة ١٩٩٣

٥ ـ روزا لوكسمبورغ ـ دار الحوار ـ ١٩٩٣

يصدر قريباً

١ ـ سورية بين خمس حضارات ـ دار ألف باء الأبجدية ـ دمشق

٢ ـ موليير ـ دراسة عن أهم اعماله المسرحية

٣ ـ كاليجولا ـ ألبير كامو.

بالنسبة للجيل السوفيتي الحالي، ولغيره ايضا، تشبه حياة تروتسكي واحداً من تلك القبور المصرية القديمة، التي يعرف الناس أنها ضمت فى الماضي جثمان رجل عظيم ورواية منجزاته، المحفورةفي الواح من ذهب، إلا أن لصوص مقابر ومخربي آثار عاثوا في الضريح فساداً وتركوه فارغاً وموحشاً ، حتى أنه لم يعد ثمة أثر واحد للالواح التي كان يتضمنها سابقاً

اسحق دويتشر